T.C.
BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ARAP DİLİ VE BELÂGATI BİLİM DALI

MENBİC'TE ŞİİR VE ŞAİRLER

Hazırlayan: Muhammed ABRIK

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman: Prof. Dr. Mustafa AGÂH

Bingöl-2022

T.C.
BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
ARAP DİLİ VE BELÂGATI BİLİM DALI

MENBİC'TE ŞİİR VE ŞAİRLER

Hazırlayan: Muhammed ABRIK

YÜKSEK LİSANS TEZİ

Danışman: Prof. Dr. Mustafa AGÂH

Bingöl-2022

الجمهورية التركية

جامعة بينكول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

اللغة العربية وبلاغتها

الشعر والشعراء في منبج

إعداد: محمد إبريق

رسالة ماجستير

المشرف: الأستاذ الدكتور مصطفى آغا

بينكول–2022

المحتويات

VI..... BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

VII.....TEZ KABUL VE ONAY

VIII .....ÖZET

IX..... ABSTRACT

ملخص البحث.....X

الاختصارات XII

المقدمة..... XIII

المدخل 1

سبب اختيار البحث: 1

مشكلة البحث: 1

منهج البحث:.....2

أهمية البحث:.....2

مصادر البحث: 2

تمهيد: 3

أسماء مدينة منبج: 5

أهمية مدينة منبج: 5

تاريخ مدينة منبج: 7

الدمار الذي أصاب مدينة منبج: 13
الفصل الأول 15
منبج في الشعر 15
المبحث الأول: الوصف 16
المبحث الثاني: الشوق والحنين 28
المبحث الثالث: المدح 38
المبحث الرابع: الفخر 44
المبحث الخامس: قصائد ذكرت فيها منبج في موضوعات مختلفة 48
المطلب الأول: الغزل 49
المطلب الثاني: الرثاء 50
المطلب الثالث: الحكمة 52
المطلب الرابع: العتاب 54
المطلب الخامس: التوجع والشكوى 57
الفصل الثاني 60
شعراء من منبج 60
المبحث الأول: شعراء العصر القديم 61
المطلب الأول: الشعراء المشهورون 61
أولا: البحتري 61
ثانيا: أبو فراس الحمداني 72

ثالثا: يحيى بن نزار 79
المطلب الثاني: الشعراء المغمورون 82
أولا: أبو نصر المنبجي 82
ثانيا: حجوة بن مدرك الغساني 85
ثالثا: رئيس بن عبد الله النميري 86
رابعا: الشغواني المنبجي 86
خامسا: أبو بكر بن عثمان قجمك 87
سادسا: أبو الغوث بن محجز المنبجي 88
سابعا: أبو القاسم بن عبدان 89
ثامنا: إسرائيل بن مقدار 90
تاسعا: الناصح المنبجي 91
عاشرا: بدر الدين المنبجي 92
المبحث الثاني: شعراء العصر الحديث 94
المطلب الأول: عمر أبو ريشة 94
المطلب الثاني: يوسف عبيد 100
المطلب الثالث: محمد منلا غزيل 106
الخاتمة 111
المصادر والمراجع 113

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım *"**Menbic'te Şiir ve Şairler"*** adlı çalışmanın öneri aşamasından sonuçlanmasına kadar geçen süreçte bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle uyduğumu, tez içindeki tüm bilgileri bilimsel ahlak ve gelenek çerçevesinde elde ettiğimi, tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığım bu çalışmamda doğrudan veya dolaylı olarak yaptığım her alıntıya kaynak gösterdiğimi ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu beyan ederim.

/ /2022

Muhammed ABRIK

TEZ KABUL VE ONAY

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ MÜDÜRLÜĞÜNE

Muhammed ABRIK tarafından hazırlanan "***Menbic'te Şiir ve Şairler***" başlıklı bu çalışma, /01/2022 tarihinde yapılan tez savunma sınavı sonucunda [oybirliği/oy çokluğuyla] başarılı bulunarak jürimiz tarafından Arap Dili Ve Belâgati Anabilim Dalı'nda Yüksek Lisans tezi olarak kabul edilmiştir.

TEZ JÜRİSİ ÜYELERİ (Unvanı, Adı ve Soyadı)

Başkan …… : İmza..…… :

Danışman …… : İmza..…… :

Üye …… : İmza..…… :

ONAY

Bu Tez, Bingöl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Yönetim Kurulunun ...../..../ 2022 tarih ve ..... sayılı oturumunda belirlenen jüri tarafından kabul edilmiştir.

Unvanı Adı Soyadı

Enstitü Müdürü

ÖZET

Menbic şehri hem klasik hem de modern dönemde şiir ve şairler ile olan ilişkisiyle meşhur olmuştur. Menbic, bir şiir kenti ve şairlerin menbaı olduğu için cahiliyeden günümüze şiirlerde sürekli kullanılagelmiş ve bu şehir hiçbir dönem şairsiz kalmamıştır. Bununla birlikte Menbic bu yönüyle hak ettiği ilgiyi görememiştir. Menbicli olmam hasebiyle bu çalışmada şehrin bu özelliğini şiirlerden örnekler vererek, klasik ve modern dönem şairlerinin biyografilerinden bahsederek ortaya çıkarmaya çalıştım.

Bu araştırma ön söz, giriş, iki bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır. Birinci bölümde, Menbic şehrinin zikredildiği şiirler bir araya getirilmiş, bu şiirler şevk, hanin, fahr, vasf, medh, risa, gazel vb. konularına göre taksim edilmiş, bu şiirlerdeki anlamı kapalı ifadeler açıklanıp genel anlamları verilmeye çalışılmıştır. İkinci bölümde ise meşhur ve meşhur olmayan Menbicli klasik şairler konu edinilmiş, aynı zamanda vefat etmiş olan modern şairlere yer verilmiştir. Yine bu bölümde şairlerin biyografilerine, önemli özelliklerine ve bazı şiirlerine değinilmiştir. Sonuç kısmında ise bu araştırmada ulaştığımız neticelerden bahsedilmiş ve bazı önerilere yer verilmiştir.

Anahtar Kelimeler: Menbic, el-Menbicî, şiir, Buhturî, Hemedanî, Guzeyyil, Ebû Rîşe.

ABSTRACT

The city of Manbij became famous for its poets and its relationship with poetry in both the classical and modern periods. Manbij has been a city of poetry and a source of poets. Manbij has been used constantly in poems since pre-Islamic times and the city has never been without a poet. However, Manbij was never the focus of interest it deserves. Since I am from Manbij, I attempted to reveal this characteristic of the city and provided poetry examples and discussed the biographies of classical and modern poets in the present study.

The present study includes a preface, introduction, two sections and conclusion. The first section includes five main titles. In this section of the thesis, I introduced the poems that mentioned Manbij, and categorized these poems based on their topics (şevk, hanin, fahr, vasf, medh, risa, ghazal, etc.) and attempted to explain the difficult expressions in these poems and provide a general understanding about the meaning of the poem. The second section includes two main titles. In the first title, famous and non-famous classical poets from Manbij are discussed. In the second title, modern dead poets are discussed. Also, poet biographies, their significant characteristics, and certain poems are mentioned. In the conclusion, the study findings and certain recommendations are addressed.

Keywords: Manbij, al-Manbici, poetry, Buhturi, Hamadani, Guzeyyil, Abu Rishe.

ملخص البحث

منبج مدينة سوريَّة قد اشتهرت بارتباطها بالشعر والشعراء في القديم والحديث. وهي مدينة الشعر وأمُّ الشعراء؛ حيث لم يخل ذكرها في الشعر من العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، ولم ينقطع منها الشعراء في عصر من العصور. مع هذا فإنها لم تُعطَ حقّها من البحث والدراسة في هذا الجانب، ولكوني من أبنائها عملتُ على إظهار هذه الخاصية فيها من خلال دراسة نماذج من الشعر الذي ذُكِرت فيه، وترجمةِ شعرائها القدامى والمحدثين.

احتوت هذه الرسالة على مقدمة ومدخل، وفصلين وخاتمة. الفصل الأول تم في خمسة مباحث. عُمِل في هذا الفصل على جمع الأشعار التي ذُكِرت فيها منبج، وتقسيمها حسب مواضيعها وأغراضها، من شوق وحنين وفخر ووصف ومدح ورثاء وغزل وغيرها من مواضيع الشعر، وتوضيح الغامض من مفرداتها، والعمل على بيانها وشرحها بمعانيها الإجمالية.

أما الفصل الثاني فقد تم في مبحثين. في هذا الفصل تمت دراسة شعراء منبج وتقسيمهم إلى قسمين. الأول: شعراء العصر القديم المشهورون والمغمورون، والثاني: شعراء العصر الحديث ممن توفوا. تُرجمت في هذا الفصل حياةُ الشعراء، مع ذكر أهمّ صفاتهم، ونبذة من أشعارهم. وفي الخاتمة تم ذكر النتائج التي توصل إليها من هذه الدراسة مع بعض التوصيات.

الكلمات المفتاحية: منبج، المنبجي، الشعر، البحتري، الحمداني، الغُزيِّل، أبو ريشة.

الاختصارات

ت: توفي

ط: طبعة

ج: جزء

ص: صفحة

تح: تحقيق

م: ميلادي

هـ: هجري

{...}: للنص القرآني

(...): لحصر الكلام المنقول

المقدمة

سوف أبحث في هذه الدراسة موضوع الشعر والشعراء في مدينة منبج، حيث قمت بالعمل على دراسة مقطوعات شعرية من عصور مختلفة ذكرت فيها مدينة منبج، ودراسة الشعراء القدامى والمحدثين ممن ولدوا فيها أو عاشوا عليها.

والهدف من هذه الدراسة هو إظهار مدى أهمية مدينة منبج عبر العصور، وإبراز صلتها الوثيقة بالشعر العربي والشعراء الذين ذكروها في أشعارهم، والكشف عن هذه الخاصية والمِيزة التي تميزت بها عن المدن الأخرى. وقامت هذه الدراسة على مدخل وفصلين.

في **الفصل الأول** تم جمع نماذج من الأشعار التي ذكرت فيها منبج عبر العصور، وتقسيم هذه الأشعار حسب مواضيعها وأغراضها، من شوق وحنين وفخر ووصف ومدح ورثاء وغزل وغيرها من مواضيع الشعر المعروفة، وبعد السبر والتقسيم تأتي مرحلة نسبة هذه الأشعار إلى مصادرها والتحقّق من نسبتها إلى قائليها، وتوضيح الغامض من مفرداتها، والعمل على بيانها وشرحها بمعانيها الإجمالية، والتكلّم عن تفاصيلها عند الحالجة، مع ذكر مناسبة نظمها.

أما **الفصل الثاني** فكان في شعراء منبج؛ حيث تمّ تصنيفهم ـ حسب الزمان ـ إلى شعراء في العصر القديم ـ من مشهورين ومغمورين ـ وآخرين في العصر الحديث ممّن فارق الحياة. وهذا ما جرت عليه العادة عند ترجمة أعمال السابقين الذين قضوا نحبهم. فقد تُرجمت حياتهم وأهمّ صفاتهم، مع ذكر نبذة من أشعارهم.

بالإضافة إلى مدخل في أول البحث عن تسمية منبج بأسمائها القديمة مع بيان معانيها، وأهميّتها من الناحية الدينية والاقتصادية والتجارية، ومن الناحية السياسية والعسكرية

وذكر لمحة تاريخية عن ماضيها وأهمّ الأحداث التي وقعت فيها، وعن الخراب والدمار الذي تعرّضت له.

وختاما أبدي شكري وتقديري لأستاذي المشرف الفاضل الدكتور البرفيسور الأستاذ مصطفى آغا الذي نهلت واستفدت من علومه وتجاربه منذ عام 2014م، وما زلت أستفيد حتى يومي هذا على كل ما قدمه لي. على أن الكلمات تعجز عن الشكر والامتنان، ولكن كان لزاما كتابة هذه السطور، وإن كانت لا تفي بحقه. وأشكر أيضا الأساتذة الأفاضل هاكان جان ومحمد أوزتورك وغريب تشغلار ومصطفى المحمد على كل ما قدموه لي من نصائح وإسهامات تخص هذه الدراسة، والشكر موصول أيضا إلى الأساتذة المناقشين جزاهم الله تعالى كل خير.

أسأل الله تعالى التوفيق فهو نعم الصاحب والرفيق.

المدخل

سبب اختيار البحث:

سبب اختيار البحث هو أن منبج قد اشتهرت، وعرفت بعلاقتها وارتباطها بالشعر العربي، وبكثرة الشعراء الذين ضمّتهم واحتوتهم على ربوعها، ولكن مع هذه الشهرة لم يتطرق أحد إلى إبراز هذه الخاصية التي تتميّز بها منبج. ولكوني من أبنائها الذين قد قُدِّرَ عليهم مفراقتها، والبعد عنها، وهذا ما أثار فيّ رغبة في الحديث عنها؛ إيفاء لحقها، وتسلية للنفس المشتاقة. ولإظهار أهمية منبج عبر العصور، وإبراز علاقتها بالشعر والشعراء؛ من خلال دراسة الشعر الذي وردت فيه، والبحث عن الشعراء الذين ينسبون أو ينتسبون إليها.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدة جوانب؛ فمن ناحية هل كان لمنبج صلة بين الشعر العربي وناظميه؟ هل استخدم وذكر الشعراء منبج في أشعارهم؟ أ هناك شعراء منبجيون؟! ومن ناحية أخرى كيف استخدم الشعراء منبج في أشعارهم؟ هل كان توظيفهم لها في أشعارهم ثانوياً أم أساسياً؟ هل كان ذكرهم لها محدود ومقصور في غرض شعري معين أم أنهم ذكروها في أغراض متعددة ومتنوعة؟ ومن ناحية أخرى أيضا هل كان ورود منبج في الشعر خاصاً بعصر وزمان محدد أم أنها وردت في عصور وأزمنة مختلفة؟ وهل انقطع الشعراء من منبج بعد دمارها لأكثر من 500 سنة أم أنها أنجبت شعراء بعد عودة الحياة إليها؟ كل هذه التساؤلات والإشكاليات سأقوم بالإجابة عنها والبحث حولها في هذه الدراسة.

منهج البحث:

إن لكل بحث منهج يقوم عليه، وإني في هذه الدراسة قد استخدمت عدة مناهج اختلفت باختلاف مواضعها؛ ففي المدخل أعملت المنهج التاريخي، حينما تكلمت عن منبج وتاريخها، وأسمائها، والدمار الذي حل بها. أما في الفصل الأول استخدمت المنهج الوصفي التحليلي، فبعد أن جُمِعَت الأشعار، وسبرت وصنفت، تم إخضاعها للوصف والتحليل والشرح وفقاً لهذا المنهج. بالنسبة للفصل الثاني فكان وفق المنهج الإستقرائي؛ حيث تم استقراء الشعراء الذين ولدوا أو عاشوا في منبج، فترجمت حياتهم، وذكرت صفاتهم وخصائصهم، مع ذكر شيء من أشعارهم.

أهمية البحث:

تعود أهمية البحث للمكان الذي تضمنته وشملته الدراسة؛ فمنبج منذ القديم وما تزال مركزا علميا وثقافيا مهما في المنطقة المتواجدة فيها، بلإضافة لأهميتها الدفاعية في العصور الإسلامية القديمة. لذا جاء هذا البحث إظهارا وإبرازا لأهمية هذه المدينة من خلال الشعر والشعراء الذين ارتبطوا بها؛ إما من خلال ذكرهم لها في أشعارهم، أو انتسابهم لها وعيشهم فيها. وخاصة أن هذه المدينة لم تدرس وتبحث من ناحية الشعر والشعراء فيها؛ فجاء هذا البحث ساد لهذا الثغر، وتكمن أهمية هذا البحث في كونه دعوة لطلبة العلم في أن يبحثوا ويفتشوا عن تاريخ مدنهم والعمل على إبراز خصائصها ونشر أهميتها وفضائلها.

مصادر البحث:

تمت الاستفادة والرجوع في هذه الدراسة للعديد من المصادر والمراجع، ففي المدخل اعتمدت على المصادر التاريخية ككتاب "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء" للشيخ محمد راغب الطباخ، وكتاب "بغية الطلب في تاريخ حلب" لابن العديم، وكتاب

"الكامل في التاريخ" لابن الأثير وغيرها من الكتب. أما في الفصل الأول رجعت إلى دواوين الشعراء لإثبات ولجمع الشعر منها، ولكن أثناء البحث صادفتني بعض الأشعار لشعراء لم تجمع أشعارهم في دواوين، وهذا ما دعاني للعودة إلى مصادر الشعر والأدب لإثبات الأشعار منها، ومن هذه الكتب "المفضليات" للمفضل الضبي، و"الأصمعيات" للأصمعي، و"أمالي القالي" لأبي علي القالي، و"يتيمة الدهر" للثعالبي، و"خريدة القصر" للأصفهاني، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه وغيرها من كتب الشعر والأدب، كما تم الاستفادة من كتب المعاجم والشروح في شرح الأبيات الشعرية. بالنسبة للفصل الثاني فقد تم الاعتماد على كتب التراجم والطبقات والرجال في ترجمة الشعراء، ومنها "وفيات الأعيان" لابن خلكان، و"الأعلام" للزركلي، و"تاريخ الإسلام" للذهبي، و"معجم الأدباء" لياقوت الحموي.

تمهيد:

مَنْبِج مدينة من مدن سورية، كانت تابعة لمحافظة حلب، أما اليوم فهي محافظة مستقلة بنفسها، تقع في الشمال الشرقي لمحافظة حلب، تبعد عن الفرات 30 كم، وعن مدينة جرابلس 35 كم، وعن محافظة حلب 81 كم. تبلغ مساحتها حوالي 5183 كم^2، ويبلغ عدد سكانها حوالي أربعمئة ألف نسمة حسب الإحصائيات السابقة، تتكون منبج من خليط اجتماعي متميز ففيها العرب والأكراد والشركس والتركمان وغيرهم من باقي الأعراق.

منبج مدينة تعاقب عليها الزمان، وذاع صيتها في الألسنة والآذان، فلا يكاد يخلو ذكرها من ألسنة الشعراء في محفلٍ أو ميدان. وهي مدينة الحبّ والحنان، وكذلك هي مدينة الحرب وحصن المسلمين في غابر الأزمان. هي مدينة الاستلهام والتعبّد والتفكر، حيث قدّستها الأديان. وهي مدينة الشّعر والثقافة وصنعة الكلام، ومدينة التجارة والزراعة والغلّات.

هي مدينة سكنتها مختلف الأعراق، وأتاها أناس من كل الآفاق، عاشوا بين ربوعها، وافتخروا بانتسابهم إليها، وبنوا حضاراتهم فيها.

كثر بها الشعراء فهي أمّهم ومدينتهم، إذ هي مدينة الشعر وأمّ الشعراء؛ استلهموا أشعارهم منها، وكثر شوقهم وحنينهم إليها، ولاسيما من أبنائها الذين ولدوا فيها أو عاشوا على أرضها، أو من الشعراء الذين زاروها أو الذين كانت لهم رابطة فيها. فراحوا يصفون ما فيها من ماء وأنهار وسهول وأشجار، فتغنّوا بليلها وسحَرِها وهوائها وأفيائها، وتكلموا عن نواحيها وبيوتها، ولم يُغفلوا أهلها في أشعارهم، وحنّوا إلى ذكرياتهم فيها، فتكلموا عن ندمهم وعدم صواب فعلهم بتركهم إيّاها وابتعادهم عنها، وعبّروا عن رغبتهم بالعودة إليها والعيش فيها، وصبّوا شوقهم وحنينهم في ذكر أطلالها، فوقفوا عليها واستذكروا ماضيهم وماضيها، وافتخروا بانتسابهم إليها وبعيش أجدادهم فيها، وذكروا حصنها وقلعتها، واستبشروا بفتحها واغتنامها، ووصفوا جسرها وساجورها، وتخيّلوا أطيافها فاستعبروا؛ حتى أنّهم حاكوها في أشعارهم، ولم يهملوها أثناء نسج قصائدهم. وهذا ليس سوى في شعر أبنائها أو ممن ولد فيها أو عاش عليها، وإنما ذكرها كثير من الشعراء في أشعارهم، حيث لم يخلُ عصر من العصور من العصر الجاهلي حتى يومنا هذا إلا وذكرت منبج في أشعار شعراء ذلك العصر؛ وهذا لأهميتها من عدّة نواحٍ وأسباب سنذكرها إن شاء الله تعالى.

أسماء مدينة منبج:

اسم المدينة مَنبج بفتح الميم ثم السكون وباء مكسورة[1]. وإن لمنبج أسماء كثيرة ومختلفة، وهذا عائد إلى قدمها وتعاقب الزمان والعصور عليها.

فمن أسمائها في العهد الآشوري: "Nampigi" نامبيجي أي النبع. وفي العهد الآرامي "Nappigu" نابيجو. وفي العهد اليوناني: "Bambyce" بامبيجا[2]. وفي عهد الحثيين كان اسمها مابوغ "Mabog"[3]. وفي العصر الروماني عُرفت باسم هيرابوليس "Hierapolis" أي المدينة المقدسة[4]. وعندما دخلها الفرس سماها كسرى باسم "مَنبِه" أي أنا أجوَد، ولما كانت سنة خمسين من مُلك بختنصر قتل فرعون الأعرج ملك مصر، وكان فرعون قد أَحرق مدينة منبج من قبل ملك الفرس وبنيت وسميت "أبروقيش" وتعني مدينة الكهنة[5]. وأيضا سماها هارون الرشيد بمدينة "العواصم" لأنها تعصم المسلمين من العدوّ الروماني[6].

أهمية مدينة منبج:

في العصور القديمة كان لها وظيفة دينية، حيث كانت عاصمة الآراميين الدينية، وأقاموا فيها هيكل إله العواصف "حدد" وآلهة المياه "أتاركاتيس"[7]، وكانت تسمى كما ذكرنا

---

[1] ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت: 626هـ)، ***معجم البلدان***، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995م، ج 5، ص 205. عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح (ت: 392هـ)، ***المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني***، دار إحياء التراث القديم، ط 1، 1954م، ص 406. عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، (ت: 487هـ)، ***معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع***، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403هـ، ج 4، ص 1265.

[2] حسين علي البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، دار الثريا للنشر، حلب، ط 1، 1999م، ص 10-11.

[3] يوسف الدبس، ***تاريخ سورية***، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1893م، ج 1، ص 192.

[4] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 12.

[5] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 106.

[6] الحموي، ***معجم البلدان***، ج 5، ص 205.

[7] محمد إبراهيم الفيومي (ت: 1427هـ)، ***تاريخ الفكر الديني الجاهلي***، دار الفكر العربي، ط 4، 1994م، ص 68.

بالمدينة المقدسة، وأيضا تسمى بمدينة الكهنة؛ لكن مهمتها الرئيسة كانت تتمثّل بأهميتها العسكرية، فكانت من أهم قواعد الجيش الروماني التي يمرّ بها للإغارة على بلاد ما بين النهرين وفارس، وخطّ الدفاع الأول للمسلمين في صدّ هجمات البيزنطيين. وفي العصر الأموي كانت تابعة لجند قنسرين وحلب، وتابعت دورها العسكري كثغرٍ من ثغور الذود عن الإسلام ضدّ عدوان الروم مدة ليست بقليلة من الزمن.

ولها أيضا أهمية زراعية، حيث كانت سابقاً معروفة بزراعة أشجار التوت وتربية دودة القز[8]، فكان لها أهمية صناعية في صناعة الحرير الطبيعي، كانت نهاية تلك الصناعة عام 1241م، حيث تحولت في القرن التاسع عشر ـ بعد تدميرها ـ إلى مراعٍ. وفي العهد الحديث توسعت الزراعات المرويّة فيها بعد تنظيف القنوات القديمة وبفضل المزارعين الجدد[9]، وتتميز بشبكة من الجداول والأقنية الجوفية أكثر من أي منطقة أخرى في سورية. وهذا ما جعلها لأن تكون مركزاً لإنتاج القطن؛ ولكن التوسع في هذه الزراعة أدّى إلى استنزاف رصيد الأرض من المياه الجوفية، مما تسبّب في جفاف بساتينها حتى أصبحت تعتمد على مياه نهر الفرات.

أهمّيتها التجارية: انتعشت التجارة فيها بحكم موقعها الوسيط بين الجزيرة والفرات شرقاً وحلب واللاذقية غرباً، كما كانت مركزاً للتبادل التجاري بين مدينة حلب من جهة والبادية ووادي الفرات وسهول حلب الشرقية وعين العرب من جهة أخرى، ولقربها من تركيا. ومما يدلّ على فعاليتها التجارية وجود سوق المواشي الذي كان يستمر ثلاثة أيام متوالية؛ إذ كان يخصص يوم الأحد لسوق الخيل والبغال، ويوم الاثنين للغنم والماعز، ويوم الثلاثاء للأبقار والإبل؛ وهي ظاهرة لا مثيل لها في باقي المدن السورية[10].

---

[8] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 398.

[9] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 67.

[10] مازال هذا السوق قائما حتى يومنا هذا ويعد من أكبر أسواق المواشي في المنطقة.

تاريخ مدينة منبج:

منبج قديماً: لا أحد يعلم متى تأسست مدينة منبج على وجه التحديد، ولكن يُقال أن مابوغ Mabog منبج تأسست في الألف الثاني قبل الميلاد على أيدي الحثيين الذين سيطروا على بلاد شمال سورية؛ ولكنّ المعلومات المتوفرة عن منبج في تلك الحقبة تتمثل بذكر ضئيلٍ جدًا خلال الحكم الآشوري، وكذلك الأمر بالنسبة للعصر الآرامي[11]، حيث كانت منبج جزءاً من مملكة "بيت عديني" الآرامية الواقعة بين البليخ شرقًا، وضفتي نهر الفرات الأوسط غربًا، وكانت عاصمتها مدينة برسيب الواقعة إلى الجنوب من مدينة جرابلس، وقد اعطى "معبد الإلهة أتارجتيس" للمدينة أهمية فائقة للآراميين على الصعيد السياسي والديني، وخصوصًا نهاية الإمبراطورية الأخمينية. وازدهرت مدينة منبج في ظل حكم السلوقيين، الذين جعلوها المحطة الأهم على طريقهم الرئيسي الواقع بين أنطاكية وعاصمتهم مدينة سلوقية التي تقع وتطلّ على نهر دجلة[12].

عندما بدأت الفتوحات الإسلامية كانت منبج تحت الحكم البيزنطي، إلا أنها تحررت منه عام 16هـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الذي كلَّف أبا عبيدة بن الجراح بطرد البيزنطيين من أراضي بلاد الشام، وذلك بعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك[13]، مما شجعهم على متابعة الزحف نحو الشمال والشمال الغربي. زحف أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه بقواته نحو حلب الساجور، وأرسل عياض بن غنم الفهري[14] إلى

---

[11] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 8.

[12] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 7.

[13] علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير (ت: 630هـ)، ***الكامل في التاريخ***، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1997م، ج 2، ص 326.

[14] عياض بن غنم الفهري: شهد الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومات بالشام سنة عشرين وهو ابن ستين سنة. هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية. وفي رواية أنه شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي بالمدينة سنة ثلاثين في خلافة عثمان بن عفان، وليس له عقب. وأسلم قديما قبل الحديبية وشهد الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رجلا .. ..صالحا سمحا، وكان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام، فلما حضرت أبا عبيدة الوفاة ولي عياض بن غنم الذي كان يليه، قال عمر بن الخطاب من استخلف أبو عبيدة على عمله؟ قالوا عياض بن غنم، فأقره وكتب إليه إني قد وليتك ما كان أبو عبيدة يليه، فاعمل

منبج ثم لحق به، وقد صالح أنطاكية على شروط هي الجزية أو الجلاء، فأجلى بعضهم، وأقام بعضهم في مأمن؛ وعمد أهالي مدينة منبج إلى عقد الصلح مع عياض على الشروط ذاتها التي صالح بموجبها أهل إنطاكية، وقد أقرَّ أبو عبيدة ذلك[15].

وزارها الخليفة هارون الرشيد وجعلها مدينة العواصم، والعواصم هي "دلوك ورعبان وقورس وأنطاكية وتيزين"[16] وسميت بذلك لأنها تعصم المسلمين من العدو الروماني، وعاصمة العواصم هي منبج وكان حاكمها آنذاك عبد الملك بن صالح بن عباس الهاشمي[17] سنة 173هـ، وكان من أجلّ رجال قريش ولسان بني عباس، وآثار قصره مازالت موجودة في بستان شمال منبج، فعمد هذا الحاكم إلى بناء صروح كبيرة وقوية، استخدمت كقواعد لانطلاق الصائفة[18]؛ لأن المسلمين كانوا يغزون الروم فقط في الصيف، وذلك من أجل اتقاء برد الشتاء ضد البيزنطيين، وبذلك أصبحت تُشكل خط التماس الأول مع العدو، لذا

بالذي يحق الله عليك. قال أبو اليمان الحمصي عن صفوان بن عمرو عن الأشياخ أن عمر رزق عياض بن غنم حين ولاه جند حمص كل يوم دينارا وشاة ومدا. علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر (ت: 571هـ)، ***تاريخ دمشق***، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م، ج 47، ص 269.

[15] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 108.

[16] دُلُوكُ: بضم أوله، وآخره كاف: بليدة من نواحي حلب بالعواصم. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 2، ص 461. رَعْبَانُ: بفتح أوّله وسكون ثانيه وباء موحدة وآخره نون: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 3، ص 51. وقُورُسُ: ضم ثم سكون وراء مضمومة وسين مهملة: مدينة أزليّة بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب، وهي الآن خراب وبها آثار باقية. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 2، ص 66. تِيزِينُ: بعد الزاي ياء ساكنة ونون: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعدّ من أعمال قنّسرين، ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 4، ص 412.

[17] عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد اللَّه بن العباس بن عبد المطلب، أبو عبد الرحمن الهاشمي: كان من رجالات قريش وكفاتهم، ولي المدينة والصوائف في أيام الرشيد، ثم ولاه دمشق بعد السندي ابن شاهك، ثم حبسه حبسة لوثوبه على الخلافة، ثم أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة، روى عن أبيه وعمه سليمان بن علي ومالك بن أنس الفقيه، وروى عنه ابنه علي وفليح بن سليمان وعبد اللَّه بن عمرو الأسدي وعبد الملك بن قريب الأصمعي. قال أبو بكر الصولي: كان عبد الملك أفصح الناس وأخطبهم، ولم يكن في دهره مثله في فصاحته وصيانته وجلالته، وله شعر ليس بالكثير، وأخبار حسان. وعن الهيثم بن عدي قال: لما ولي الرشيد عبد الملك بن صالح المدينة، فقيل ليحيى بن خالد: كيف ولاه المدينة من بين عماله؟ قال: أحب أن يباهي به قريشا ويعلمهم أن في بني العباس مثله. أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، ***تاريخ بغداد***، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1417هـ ، ج 16، ص 25.

[18] الصّائِفَةُ: غَزْوةُ الرُّومِ لأَنَّهم كَانُوا يُغْزَوْنَ صَيْفاً لمكانِ البَرْدِ والثَّلْجِ. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى الزَّبيدي (ت: 1205هـ)، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج 24، ص 44.

كان لابد من تهيئتها عسكريًا ومدنيًا لاحتواء الألوف من المجاهدين القادمين من شتى البقاع الإسلامية للدفاع عن حدود الدولة ولقتال البيزنطيين الذين دمروها فيما بعد[19].

وقد استطاع أحمد بن طولون سنة 265هـ أن يمد نفوذه من مصر إلى بلاد الشام وأن يضمها إلى دولته، وبذا أصبحت منبج تحت سيطرة الطولونيين[20]. وفي زمن سيف الدولة الحمداني، استعرت المعارك بين الدولة الحمدانية والبيزنطيين، وكانت سجالًا بين الطرفين، وقد زادت أعباء سيف الدولة بسبب الخلاف الذي وقع مع الإخشيديين ـ خلفاء الطولونيين ـ في عام 334هـ[21]، وكان يحكم سيف الدولة إقليما واسعا، يتألف من حلب وأنطاكية ومنبج، وقد استعادت هذه الأخيرة أهميتها بسبب قربها من مدينة حلب ولثروتها الزراعية، وقربها من نهر الفرات القريب من المعبر على نهر يُدعى باسم "جسر منبج" حيث تقع قلعة نجم. وفي الواقع إن منبج بقيت هدفًا للبيزنطيين خلال النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، مما جعل الحرب بين الطرفين شبه مستمرة.

وعندما احتلّ الفاطميون سورية الشمالية 402هـ أصبح صالح بن مرداس سيد حلب، فضم إليه مدينة منبج[22]، وتعاقب على هذه المدينة عدّة سلطات، فقد سيطر عليها السلاجقة الأتراك ثم انتقلت إلى سيطرة الزنكيين؛ فبعد وفاة عماد الدين زنكي 540هـ[23] قاد ولده نور الدين حملة عسكرية إلى "الرها"[24] لمحاصرتها مارًا بمدينة منبج مع قواه العسكرية وآلات حصاره، وكان أميرها يومئذٍ حسان المنبجي، وهو حليف مخلص لنور الدين، وبعد وفاة

---

[19] ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج 8، ص 217.

[20] إسماعيل بن عمر بن كثير، ابن كثير (ت: 774هـ)، ***البداية والنهاية***، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1988م، ج 11، ص 44.

[21] ابن كثير، ***البداية والنهاية***، ج 11، ص 241.

[22] ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج 7، ص 578.

[23] ابن كثير، ***البداية والنهاية***، ج 12، ص 275.

[24] الرها: بضم الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بحران. محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الحِميري (ت: 900هـ)، ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، تح: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت، ط 2، 1980م، ص 273.

حسان المنبجي أعطى نور الدين منبج لابن حسان غازي كإقطاع سنة 562هـ إلا أن هذا ما لبث أن ثار عليه؛ مما جعل نور الدين يقتحم المدينة ويعزل غازي ويعين مكانه أخاه قطب الدين ينال[25]. بقيت منبج تحت سلطة الزنكيين حتى دخلها صلاح الدين الأيوبي سنة 571هـ عنوة[26]، وبهذا أصبحت تحت حكم الدولة الأيوبية.

وتعرضت للنهب والسلب من قبل الخوارزمية[27] الذين أشاعوا فيها الخراب والدمار والقتل. وارتكب الخوارزميون من الزنى والفواحش والقتل ما ارتكبه التتر في بلادهم. ثم ساروا إلى منبج وقتلوا فيها ونهبوا، ثم رجعوا إلى بلادهم وهي حرّان وما جاورها، بعد أن خربوا حلب. ثم رحلوا من حرّان وقطعوا الفرات إلى الجبّول ثم إلى تل اعزاز، ثم إلى سرمين ثم إلى المعرة، وهم ينهبون ما يجدونه[28].

وبوفاة الملك الصالح أيوب[29] ملك مصر واغتيال ولده توران شاه[30]، انتقل الحكم عمليًا إلى القائد المملوكي المعز ايبك التركماني الجاشنكيري الصالحي، ويُعد المؤسس لدولة المماليك بفرعيها البحري والبري[31]. وقد تعرضت بلاد الشام خلال حكمهم إلى

---

[25] ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج 9، ص 331.

[26] ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج 9، ص 417.

[27] الخوارزمية: طائفة من المسلمين الساكنين في بلاد خوارزم، هربوا من بلادهم حينما استولى عليها جنكز خان، وجاؤوا إلى هذه البلاد وقويت شوكتهم وملكوا بعض مدن وقصبات. الغزي، ***نهر الذهب فى تاريخ حلب***، ج 3، ص 127.

[28] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 3، ص 127.

[29] الْملك الصَّالح نجم الدّين، أَيُّوب السُّلْطَان الْملك الصَّالح نجم الدّين ابْن السُّلْطَان الْملك الْكَامِل مُحَمَّد بن السُّلْطَان الْملك الْعَادِل أبي بكر مُحَمَّد بن أَيُّوب صاحب مصر، ولد سنة ثَلَاث وست مئَة بِالْقَاهِرَة، وَتُوفِّي سنة سبع وَأَرْبَعين وستمئَة. خليل بن أيبك بن عبد الله، الصفدي (ت: 764هـ)، ***الوافي بالوفيات***، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م ج 10، ص 35.

[30] توران شاه، الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب فخر الدين، وهو أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى، وكان أكبر منه؛ وكان السلطان يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفسه. أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ابن خلكان (ت: 681هـ)، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م، ج 1، ص 306.

[31] عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون (ت: 808هـ)، ***ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر***، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988م، ج 5، ص 431.

غزوين شرسين؛ أولهما بقيادة هولاكو المغولي الذي وضع نهاية للدولة العباسية، إثر احتلاله بغداد وقتله للخليفة العباسي وأفراد أسرته عام 656هـ، ثم زحف نحو بلاد الشام واحتلّ القسم الشمالي منها، وارتكب جرائم عظيمة في حلب ومنطقتها، ثم اتجه نحو حماة ودمشق، إلا أن ظروفًا استجدت فاضطر إلى الذهاب إلى إيران بسبب وفاة أخيه الخان الكبير، تاركًا جيشه لإتمام الغزو بقيادة أحد قواده[32]؛ ولكن جيش المماليك تمكن من سحق الجيش المغولي في معركة عين جالوت[33] 658هـ[34]. أما الغزو الثاني فكان بقيادة تيمورلنك، الذي غزا في عام 804هـ شمال سورية واستولى على مدينة منبج وجعلها مقرًا لقيادة حملته على سوريا وبعد ذلك هدمها ولم يبقِ حجرًا فوق حجر، وترك جنوده يفتكون بسكانها، وهكذا أصبحت منبج مدينة خاوية على عروشها، وفي هذه الفترة توقفت الحياة في منبج التي بقيت مهجورة[35].

كان آخر سلاطين المماليك قونصوه الغوري[36] الذي هزمه العثمانيون في معركة مرج دابق[37] قرب حلب عام 922هـ، وبذلك انتقلت السيادة من المماليك إلى العثمانيين،

---

[32] ابن كثير، ***البداية والنهاية***، ج 13، ص 233 وما بعدها.

[33] عين جالوت: اسم موضع بالقرب من فلسطين، جرت فيه وقعة بين المماليك بقيادة الملك المظفر سيف الدين قطز والمغول، انتصر فيها المماليك وسميت بمعركة عين جالوت. أحمد بن علي بن عبد القادر، المقريزي (ت: 845هـ)، ***المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ، ج 3، ص 414.

[34] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، ***تاريخ الخلفاء***، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط 1، 2004م، ص 335.

[35] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 64.

[36] الملك الأشرف أبو النصر قانصوه من بيبردى الغوري الجركسي الأصل، هو آخر سلاطين المماليك. ولد سنة 850 هـ. امتلكه الأشرف قايتباي وأعتقه وجعله من جملة مماليكه ثم أصبح في حرسه الخاص، وارتقى في عدة مناصب حتى ولي حجابة الحُجّاب بحلب. ثم عين وزيرا. بويع بالسلطنة سنة 906هـ وظل في ملك مصر والشام إلى أن قتل في معركة مرج دابق شمال حلب سنة 922هـ. نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: 1061هـ)، ***الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة***، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997هـ، ج 1، ص 295-298.

[37] دابِق: قرية قرب حلب من أعمال اعزاز، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان، وبه قبر سليمان ابن عبد الملك بن مروان، وجرت فيه المعركة المعروفة بين المماليك والعثمانيين وسميت باسم معركة مرج دابق. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 2، ص 417.

وأصبحت منبج جزءًا من الخلافة الإسلامية[38]، وقد استمرت الخلافة العثمانية في بلاد الشام نحو أربعة قرون 1517م ـ 1918م.

منبج حديثاً: لقد كانت منبج مدينة مدمرة تماماً، ويعمها الخراب والفوضى ـ بسبب ما تعرضت له من أحداث ووقائع ستذكر لاحقا ـ وفي الجهة الشرقية ما يزال بعضًا من أجزاء سور المدينة سليمًا ولم يدمّر بعد، وفي الجهة الغربية من المدينة يوجد حفرة عميقة مليئة بالمياه؛ وعلى ما يبدو أن هذه البحيرة الصغيرة كانت مُحاطة بأبنية عظيمة استنتج وجودها من خلال الأعمدة والحطام المتبقي حول هذه البحيرة. وفي عام 1878م وصل حوالي 350 عائلة شركسية من القوقاز إلى منبج، ليقيموا فيها ويصبحوا من مواطنيها، ومن بعدها بدأت تعود إليها الحياة تدريجيًا[39]. وفي عام 1884م /1302هـ تمّ بناء الجامع الحميدي الكبير في مدينة منبج بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني على نفقة خزانته[40]. وفي عام 1904م تمّ بناء حمّام للعامة في السوق على نفقة بلديتها[41] كما تُشير اللوحة الموجودة على بابه باللغة التركية، وترجمتها تقول: "السلطان يبارك لأهل المدينة بهذا الحمام"، كما تمّ افتتاح مكتب البريد في منبج. وفي الفترة ما بين 1914و 1918م نزلت مجاعة اجتاحت منبج وقُراها بسبب الحرب العالمية الأولى، وفُرض حينها النفير العام ـ سفربرلك ـ والذي تمّ بموجبه اقتياد كلّ من يستطيع حمل السلاح إلى جبهات القتال. وفي عام 1920م احتلّت فرنسا سورية ومنبج منها، فأصبحت تحت الاحتلال الفرنسي. وفي عهد الاحتلال الفرنسي عام 1925م تمّ بناء ثلاث مبانٍ حديثة في منبج؛ وهي مبنى السرايا الحكومية التي تقع مقابل البريد اليوم، ومدرسة وهي مدرسة منبج الابتدائية للبنات، وبيت

---

[38] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 3، ص 197.

[39] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 398. البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 67.

[40] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 3، ص 311.

[41] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 398.

للقائم مقام وهو بيت مدير المنطقة. في عام 1946م راحت الأفراح تعمّ مدينة منبج وقراها ابتهاجاً بخروج الفرنسيين من البلاد.

الدمار الذي أصاب مدينة منبج:

إن الخراب الذي تعرضت له منبج جعلها غير مأهولة بل مهجورة لفترة ليست قليلة من الزمن والتي تقدّر بحوالي خمسة قرون[42]، حيث تمّ تدمير مدينة منبج وتحطيمها بشكل كامل أو بشكل جزئي مرّات عدّة ومنها ما وقع في عام 462هـ، حيث قدم ملك الروم من القسطنطينية على رأس جيشٍ ودخل مدينة منبج ونهبها ودمّرها[43]. وفي عام 540م هاجم الإمبراطور كسرى بلاد ما بين النهرين وسوريا، ودمّر منبج. وفي عام 1240م/ 638هـ سارت الخوارزمية إلى منبج وقتلت ونهبت الكثير مما فيها، وارتكبت من الفواحش والقتل ما ارتكبه التتار. وفي عام 598هـ خرّب الملك الظاهر غياث الدين غازي[44] بن الناصر صلاح الدين قلعة منبج خوفاً من انتزاعها منه[45]، وهذا من الغريب حقا أن تخرب قلعة خشية انتزاعها وتترك مدينة كاملة عرضة للانتزاع؛ وهي التي تحمي نفسها بمن فيها من الانتزاع، وتم تخريب قلعة منبج بواسطة وزيره البرهان ابن أبي شيبة[46] وعمل موضع القلعة مارستانا[47]

---

[42] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 65.

[43] ابن الأثير، ***الكامل في التاريخ***، ج 8، ص 217.

[44] غياث الدين غازي المقب بالملك الظاهر غياث الدين غازى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، صاحب حلب. كان مولده بالقاهرة فى منتصف شهر رمضان، سنة ثمان وستين وخمسمائة. توفي بحلب سنة ثلاث عشرة وستمئة فى العشرين. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم، النويري (ت: 733هـ)، ***نهاية الأرب في فنون الأدب***، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423هـ، ج 29، ص 75.

[45] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 105.

[46] ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم، أبو بكر بن أبي شيبة. قَال صالح بْن مُحَمَّد الْبَغْدَادِيّ: أحفظهم عند المذاكرة أَبُو بَكْر بْن أَبي شَيْبَة. قال الإمام الْبُخَارِيّ: مات فِي المحرم سنة خمس وثلاثين ومئتين. يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، القضاعي (ت: 742هـ)، ***تهذيب الكمال في أسماء الرجال***، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1400هـ، ج 16، ص 41.

[47] مارستانا: مستشفى.

وحمّامين متلاصقتين وخان سبيل، فقال أهل منبج عنه: هتك الحريم وصان الحمير[48]. وفي عام 657هـ دمّر هولاكو[49] مدينة منبج. وفي عام 744هـ وقع زلزال عظيم تهدمّت فيه مدينة منبج بالكامل وأصبحت خراباً، ووصل عدد الضحايا إلى 57000 شخصاً[50]. وفي عام 804هـ غزا تيمورلنك شمال سورية واستولى على مدينة منبج وجعلها مقراً لقيادة حَمْلته على سوريا، وبعد ذلك هدمها ولم يُبقِ حجراً فوق حجر، وترك جنوده يفتكون بسكّانها. وهكذا أصبحت منبج مدينة خاوية على عروشها، وفي هذه الفترة توقفت الحياة في منبج وبقيت مهجورة يسكنها الخراب قرابة 500 سنة[51].

[48] عمر بن مظفر بن عمر بن محمد، ابن الوردي (ت: 749هـ)، ***تاريخ ابن الوردي***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1996م، ج 2، ص 116-117.

[49] هولاكو بن تولي قان بن جنكز خان: ملك التتار ومقدمهم؛ مات سنة 663هـ، كان طاغية من أعظم ملوك التتار، وكان شجاعا مقداما حازما مدبرا ذا همة عالية وسطوة ومهابة وخبرة بالحروب، ومحبة في العلوم العقلية من غير أن يتعقل منها شيئا. اجتمع عنده جماعة من فضلاء العالم، وجمع حكماء مملكته وأمرهم أن يرصدوا الكواكب، وكان يطلق الكثير من الأموال والبلاد، وهو على قاعدة الترك في عدم التقيد بدين. محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن، ابن شاكر الكتبي (ت: 764هـ)، ***فوات الوفيات***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1، ج 4، ص 240.

[50] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 3، ص 149.

[51] البكار، ***منبج سيرة ومسيرة***، ص 65.

الفصل الأول

منبج في الشعر

في هذا الفصل خمسة مباحث. المبحث الأول في الوصف، والثاني في الشوق والحنين، والثالث في المدح، والرابع في الفخر، أما المبحث الخامس فقد كان في قصائد ذكرت فيها منبج في موضوعات مختلفة.

تم في هذا الفصل جمع نماذج من الأشعار التي ذكرت فيها منبج، وتقسيمها وتصنيفها حسب أغراض الشعر، وشرح المفردات الغامضة فيها، وتبيين معانيها من خلال شرح أبياتها.

المبحث الأول: الوصف

إن غرض الوصف من الأغراض الشائعة والأساسية في الشعر العربي، وهو قائم على تصوير الشاعر لخواص الأشياء وصفاتها سواء أكانت حسية أم معنوية، وهذا الغرض قد اختلف استخدامه في الشعر باختلاف العصر الذي عاش فيه الشاعر.

ففي العصر الجاهلي كانت استعمال الوصف في الشعر محدودا بالنطاق الذي وجد به الشاعر فكانوا يصفون الناقة والفرس والحمار الوحشي والذئب وغيرها من الحيوانات، وكانوا يصفون أيضا مظاهر الطبيعة من مطر وريح وبرق وليل وصباح ونجوم، وكان قلما يخلو شعرهم من وصف الأطلال وتصوير الرحيل منها بلإضافة إلى وصف محبوباتهم وهذا يدخل أيضا في باب التغزل. أما في صدر الإسلام فكان وصف الدين والنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والأدب ومكارم الأخلاق شائعا في ذاك العصر، وفي العصر الأموي كانت الفتوحات وتدوال السياسة سببا في خمود الشعر الوصفي الوجداني الخالص، وبروز النهج الالتزامي القائم على العقيدة والسياسة. أما في العصر العباسي فقد تطور الشعر الوصفي تطورا بالغا بسبب تقدم الحضارة والعمران حيث القصور والرياض والحدائق والاحتفالات والمواكب والمدن وغيرها من آثار التطور والتقدم، وكان دور الشعراء هو تصوير هذه الأشياء والمظاهر في أشعارهم.

وهكذا كان شعر الوصف يتقدم ويتطور تبعا للعصر والمحيط الذي يعيش فيه الشاعر. لهذا كان الشعراء يصفون المدن في أشعارهم، ولعل بعضهم كان وصفهم لمدنهم نابعا من شوقهم وحنينهم إليها، أو من باب الافتخار بها وغيرها من الأسباب والنوازع.

ومن القصائد التي تضمّنت غرض الوصف قصيدةُ البحتري التي مدح فيها أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي، حيث قال في مطلعها:

لَم يَبقَ فِي تِلكَ الرُسومِ بِمَنبِجِ[52] إِمّا سَأَلتَ مُعَرَّجٌ لِمُعَرَّجِ

آثارُ نُؤيٍ بِالفَنَاءِ مُثَلَّمٍ وَرِمَامُ أَشْعَثَ بِالعَراءِ مُشَجَّجِ

دِمَنٌ كَمِثلِ طَرَائِقِ الوَشيِ انجَلَتْ لَمَعاتُهُنَّ مِنَ الرِداءِ المُنْهَجِ

يَضْعُفنَ عَنْ إِذْكَارِنا عَهدَ الصِّبَا أَوْءِ أَنْ يَهِجْنَ صَبابَةً لَمْ تَهتَجِ

وَلَرُبَّ عَيشٍ قَدْ تَبَسَّمَ ضَاحِكاً عَنْ طُرَّتِي زَمَنٍ بِهِنَّ مُدَبَّجِ

مِن قَبلِ دَاعِيَةِ الفِرَاقِ وَرِحْلَةٍ مَنَعَتْ مُغازَلَةَ الغَزَالِ الأَدْعَجِ

رَفَعُوا الهَوَادِجَ مُعتِمِينَ فَمَا تَرَى إِلَّا تَلَأْلُؤَ كَوكَبٍ فِي هَودَجِ

أَمْثَالُ بَيضَاتِ النَّعَامِ يَهُزُّهَا لِلبُعْدِ أَمْثَالُ النَّعَامِ الهُدَّجِ[53]

هذه الأبيات من قصيدة طويلة للبحتري، جرى فيها مجرى الشعر الجاهلي من الاستهلال بوصف الأطلال وما فيها؛ فالبحتري وقف على أطلال مدينته منبج فكأنها بدت له من بعيد مختفية الرسوم، قد طمسها البعد وطول الفِراق، فبدأ يسأل ويتسائل عنها فإذ بها علامات نأوٍ قد حُفرت حول الخباء الممزّق وبقايا وتدِ الخيمة المكسور. فيقول إن هذه الدِّمن التي بقيت من آثار قومي قد بليَت وأصبحت كالثوب المهترئ الذي زالت بهجته؛ لهذا فإن هذه البقايا ضعيفة عن تذكيري بأيام طفولتي وعن تحريك مشاعري. ثم ينتقل البحتري إلى التحسّر على فراق محبوبته وذكر الرحلة التي بسببها مُنع من التغزّل بها؛ ولذلك شبّهها بالغزال الأدعج[54] ذو العيون الكبيرة السوداء، وهنا تظهر صورة التحمّل

---

[52] الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي، البحتري (280هـ)، ***ديوان البحتري***، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964م، ج 1، ص 399-400. وردت في مخطوطتين بلفظ منبج كما ذكر ذلك الأستاذ حسن كامل الصيرفي في تحقيقه لديوان البحتري وهاتان المخطوطتان الأولى منهما في باريس التي جعلها المحقق أمّاً في تحقيق الديوان والثانية هي في ميونخ في ألمانيا ووردت في المخطوطات المتبقية بلفظ منعج.

[53] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 405.

[54] الأدعج: الأسود. والدعج في العين: شدة سوادها في شدة البياض. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، ابن فارس (ت: 395هـ)، ***معجم مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج 2، ص 283.

والارتحال؛ فهو يصوّر لنا كيف أن الهوادج قد رُفعت وأن المطايا بدأت المشيَ في العتمة، وأن محبوبته تتلألؤ في الظلام كما يتلألؤ النجم في السماء. ثم يشبه محبوبته ببيض النعام؛ وهذا لأحد أمرين أو لكليهما؛ الأول: أن العرب كانت تشبّه المرأة البيضاء المشوبة بالصفرة بلون البَيْض[55]، فهو يقول إن محبوبتي بيضاء ذات صفرة تضيء في الظلمة كالنجمة.

الثاني: معلوم أن النعام من الطيور القوية شديد الضرر والبأس، فهي تحمي بيضها، لهذا لايتجرّأ أحد على مسّه أو إلحاق الضرر به[56]، لأنه محفوظ محمي؛ كحال محبوبته في هودجها، كأنّها بيض النعام في عشّه؛ فمحبوبته تمشي في الليل لا تهاب أحدا، فهي مصونة محفوظة. وقد ورد هذا التشبيه في القرآن الكريم في أحسن صوره، لأنه جمع كلا الأمرين، حيث يقول الله تعالى في محكم بيانه مشبها الحور بالبَيْض من حيث لون البشرة: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}[57] والمكنون المحفوظ الذي لم يمسّه أحد، فهنّ محصنات لا تقترب الأيدي منهن فتمسهنّ، كالبيض المكنون في عشّه. ثم ينتقل البحتري بعد هذه المقدمة الطلَليّة إلى مدح ممدوحه؛ وبسببه نسج هذه الأبيات، ثم ينهي قصيدته بقوله:

لَا أَنْسَيَنَّ زَمَنَاً لَدَيكَ مُهَذَّبَاً وَظِلَالَ عَيشٍ كَانَ عِنْدَكَ سَجْسَجِ

فِي نِعْمَةٍ أَوطَنْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَفْيَائِهَا فَكَأَنَّنِي فِي مَنبِجِ[58]

ومن هذه الخاتمة تظهر عبقرية البحتري في شعره ووصفه، فهو يقول لممدوحه: أنا لن أنسى الوقت والمدة الصافية التي قضيتها عندك، والعيش الهنيء الذي عشت في رغده وتحت ظلّه وكأنني في موطني الذي افتقده وأحنّ إليه؛ ألا وهو منبج. فكأن البحتري قد

---

[55] أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، السمين الحلبي (ت: 756هـ)، ***الدر المصون في علوم الكتاب المكنون***، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج 9، ص 307.

[56] عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، الجاحظ (ت: 255هـ)، ***الحيوان***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1424هـ، ج 4، ص 420 وبعدها.

[57] سورة الصافات، 49.

[58] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 405.

جمع بين المدح والوصف، فهو يصف طيف خيال بلده في بداية قصيدته، ويصف العيش الرغيد عند ممدوحه ويمدحه بأن السكن عنده قد عوّضه عن السكن في بلده منبج؛ ومن هنا يأتي الربط بين أوّل القصيدة وآخرها، حيث أنه ذكر منبج في آخر الصدر من البيت الأول (العروض) في القصيدة، وذكرها أيضا في آخر العجز من البيت الأخير (الضرب). وهذا من عبقرية البحتري؛ حيث ذكر منبج في أول بيت وأعاد ذكرها في آخر بيت.

ومن القصائد الرائعة التي تميّزت بوصف منبج قصيدةُ أبي فراس الحمداني، حيث يصف أيّامه ومنازله بمنبج ـ وكانت ولايتُه ـ وأقطاعه وداره بها عندما كان أسيراً لدى الروم:

قِـفْ فِي رُسُومِ الـمُسْـتَـجَـا ... بِ[59] وَحَـيِّ أَكْـنَـافَ الـمُصَلَّى[60]

فَالجَـوسَـقِ[61] الـمَيـمُـونِ فَال ... سُّـقْـيَـا[62] بِهَا فَالنَّهرُ أَعْلَى

تِـلْكَ الـمَـنَـازِلُ وَالـمَـلَا ... عِـبُ لَا أَرَاهَـا الـلـهُ مَـحْـلَا[63]

حَـرُمَ الـوقُـوفُ بِـهَـا عَـلَـيَّ ... وَكَـانَ قَـبْـلَ الـيَـومِ حِـلَّا

أُوطِـنْـتُهَـا زَمَـنَ الصِّبَـا ... وَجَـعَـلْتُ مَنـبِـجَ لِي مَـحِـلَّا

حَـيـثُ التَـفَـتَّ رَأَيتَ مَا ... ءً سـابِـحـاً وَسَكَـنـتَ ظِلَّا

---

[59] المستجاب: هو مكان كان يجتمع فيه أهل منبج للاستغاثة وطلب المطر في وقت الشدة أملا في استجابة دعائهم لهذا سمي المستجاب.

[60] المصلى: هو مكان كان يجتمع فيه أهل منبج لأداء صلاة العيد وللمعايدة فيما بينهم.

[61] الجَوْسَقُ: الحِصْن، وقيل: هو شبيه بالحصن، معرب وأصله كُوشك بالفارسية. والجَوْسَق: القصر أيضاً. محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور (711هـ)، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ، ج 10، ص 35.

[62] ذكر ياقوت الحموي السقيا في كتابه معجم البلدان وأورد أبيات أبي فراس مع اختلاف في بعض الألفاظ حيث يقول: (السقيا: قرية على باب منبج ذات بساتين كثيرة ومياه جارية، وهي وقف على ولد أبي عبادة البحتري إلى الآن، وقد ذكرها أبو فراس بن حمدان فقال:

قف في رسوم المستجاب، ... وحيّ أكناف المصلّى

فالجرس فالميمون فالسّق ... يا بها فالنّهر الأعلى. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 3، ص 228.

[63] المَحْلُ: الشدّة. والمَحْلُ: الجوع الشديد وإن لم يكن جَدْب. والمَحْل: نقيض الخِصْب، جمعه مُحول وأَمْحال. قال الأَزهري: المُحولُ والقُحوطُ احتباس المطر. وأَرض مَحْلٌ وقَحْطٌ: لم يصبها المطر في حينه. الجوهري: المَحْل الجدبُ وهو انقطاع المطر ويُبْسُ الأَرض من الكَلإِ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 11، ص 616-617.

تَـــرَ دارَ وَادِي عَـــيـــــنِ قَـــا صِـــرَ[64] مَنـــزِلاً رَحْبـــاً مُطِـــلَّا

وَتَـحُـــلُّ بِـالـجِـسـرِ[65] الـجِنـا نُ وَتَسـكُـنُ الـحِصْنَ[66] الـمُعَلّى

تَـــجـــــلو عَـــرائِسُهُ لَنـــا هَرْجَ[67] الذُبَـــــابِ إِذَا تَجَـــلَّى

وَإِذَا نَـــزَلْنَـــــا بِـالسَّـــوا جيرِ[68] اجتَنَينَـا العَيشَ سَـــهْلا

وَالـــمَـــاءُ يَـفـصِـلُ بَيـــنَ زَهـ رِ الرَّوضِ في الشَّـــطَّينِ[69] فَصْـــلا

كَـــبِـــسَـــاطِ وَشْـــيٍ[70] جَـرَّدَت أَيدِي القُيونِ[71] عَلَيهِ نَصْـــلا[72] [73]

يصف الحمداني وهو في الأسر بهذا الأبيات المدينة التي عاش طفولته في مواضعها وترعرع في أكنافها وتولاها وأداراها؛ حيث أنها أُقطعت له من قبل ابن عمه سيف الدولة، وهي التي مارس فروسيته فيها، وكانت مسكن محبوبته وأمه، وهذا ما دعاه إلى وصفها وتذكر مواضعها وأماكنها، لما له فيها من ذكريات وخواطر ومواقف؛ حيث إنه بدأ كعادة الجاهليين

---

[64] عين قاصر: اسم مكان حول منبج.

[65] ما يعرف اليوم بقلعة نجم. قلعة حصينة مطلّة على شرقي الفرات على جبل، وتحتها ربض كان عندها جسر. ويقال له: جسر منبج يعبر عليه إلى منبج، وبينهما أربعة فراسخ. عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي (ت: 739هـ)، ***مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع***، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412هـ، ج 3، ص 1118.

[66] المقصود بالحصن هو قلعة نجم. ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 111.

[67] وردت في بعض النسخ بلفظ (هزج) بمعنى الصوت. والهَرْجُ: الاختلاط؛ هَرَجَ الناس يَهْرِجُون، بالكسر، هَرْجاً من الاختلاط أَي اختلطوا. وأَصل الهَرْج: الكثرة في المشي والاتساعُ. والهَرْجُ: الفتنة في آخر الزمان. والهَرْجُ: شدَّة القتل وكثرته؛ وفي الحديث: (بين يدي الساعة هَرْج) أَي قتال واختلاط. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 2، ص 389.

[68] السواجير: بفتح أوّله، وبعد الألف جيم، جمع ساجور، هو نهر مشهور من عمل منبج بالشام. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 3، ص 271. الحِميري، ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، ص 328.

[69] فِي الشَّطَّيْن: أي: في جانِبَيْ ماء النهر الجاري.

[70] الْوَشْي: النقْشُ والزخرفة والتنميق في الثوب وغيره.

[71] القيون: جمع قَيْن وهو الحدّاد الذي يصنع السيوف ونحوها من الأسلحة.

[72] النصل: حديدة السيف ونحوه من الأسلحة، والمراد هنا هو نصل السيف، لقوله: "جَرَّدَتْ" إذ السيف هو الذي يُجَرَّدُ من غِمْدِه.

[73] الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، أبو فراس الحمداني (ت: 357هـ)، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1994م، ج 2، ص 326-327. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط 1، 2000م، ص 224-225. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1994م، ص 240-241.

في أشعارهم، فيقول لشخص خياله الواقف على أطلال منبج: قف وانظر إلى ما تبقّى من آثار المستجاب الذي كنا ندعوا فيه في أوقات شدائدنا، وسلِّم على نواحي المصلّى وأكنافه الذي كنّا نجتمع فيه أوقاتَ أفراحنا، ثم عرّج إلى الحصن المبارك الميمون الذي فيه مكان السقيا، حيث يجتمع الناس فيه لشرب الماء والتزوّد منه، والنهر في أعلاه يجري ويتدفّق. ثم يدعو هذا الأسير الغريب المشتاق لبلده ولأهله اللهَ تعالى أن يحفظ تلك البلاد والمواطن التي سكن فيها أيام صباه من كل شدّة وضيق. ويقول لقد جُعلت منبج مسكنا وموطنا لي، وها أنا اليوم بعيدٌ عنها محرومٌ وممنوعٌ من الإقامة والعيش فيها، بعد أن كانت ملكا وحِلّاً لي. ثم ينتقل بعد هذا التوجّع والتشوق إلى وصف منبج التي حرم منها بسبب الأسر؛ وهو وصف ممزوج بالأسى، والحزن قد خيّم عليه حالة الواصف القابع في الزنزانة تحت رحمة العدو وهو الأمير الفارس. حيث يقول للطّيْف الذي يحدثه وهو في حبسه: انظر إلى ما حولك وتلفّت فإنك أينما نظرت ستجد ماءً يطفو ويجري ويتدفق، وعلى أطرافه بساتين وأشجار وافرة الظلال، وسترى هناك وادي عين قاصر ذو المكان الواسع المطلّ على ما حوله، واتّجه بنظرك قليلا ستجد الجسر وكأنّ الجنان قد حلّت به ونزلت، وهو قائم في حصنٍ متمركزٍ على هضبة مرتفعة.

ثم يقول: تكشفُ عرائس ذاك الحصن لنا عن صوت الذباب المتجلّي فيها، كأن القيان لكثرتهنّ لهنّ هرجٌ وأصواتٌ كهرج الذباب. وإذا ما ذهبنا وجلسنا في مكان نهر الساجور حصلنا على الطعام والشراب، ووجدنا أسباب المعيشة متوفرة فيه بكل سهولة ويُسر، وذلك لكثرة الخيرات فيه. ويتمّ أبو فراس وصف الساجور في البيتين التاليين، حيث تظهر شاعريته في أحسن صورها ويُبرز عن مدى قدرته على الوصف والتصوير، فهو في ظلمات السجن ولكن عقله وفكره وروحه تحوم وتحلّق في أماكن قد قضى أيام عمره فيها، فيعلّل نفسه ويسلّيها بماضيه وذكرى خواطره في ربوع منبج، حيث يقول:

وَالـــمَـــاءُ يَـــفْـــصِـــلُ بَيـــنَ زَهـ ـرِ الرَّوضِ فِي الشَّـــطَّيْنِ فَصْـــلا

كَـــبِـــسَـــاطِ وَشْـــيٍ جَـــرَّدَت أَيـــدِي الـــقُـــيـــونِ عَـــلَـــيـــهِ نَصْـــلا

لقد تداولت كتب الأدب والبلاغة هذين البيتين بالعناية والذكر، لما فيهما من جمال التصوير ودقّة الوصف[74]؛ فأبو فراس هنا يصف كيف أن نهر الساجور ذو الماء الصافي العذب يجري وعلى كلتا ضفّتيه روضتين يانعتين مزيّنتين بأنواع الزهور، ذات الألوان المختلفة الزاهية، كالبساط المنقّش المنمّق بأنواع الخيوط الملونة والزخارف البديعة. فهو قد شبّه النهر الصافي بالسيف اللامع الجديد، وشبه ضفتا الساجور بالبساط المزخرف الموشّى، ووجه الشبه هنا منتزعٌ من متعدّد؛ فالنهر بين الروضتين يشبه السيف المجرّد الصقيل المطروح في وسط البساط الموشّى والمزخرف، والروضة الواقعة على يمين النهر تشبه قِسْم البساط الواقع على يمين السيف المجرّد، والروضة الواقعة على يسار النهر تشبه قسم البساط الواقع على يسار السيف المجرّد؛ ودلّ تجريد القُيُونِ للسّيف على أنّه سَيْف جديد صقيل يتلامع، وهذا يدلُّ على أنّ ماء النهر صافٍ شديد الصفاء، وعلى أنّه نهر جارٍ من نبعٍ وليس ماءً راكداً آسناً، ولا ماءَ سيلٍ كدرٍ. وبهذا التحليل نلاحظ أنّ هذا التشبيه هو من روائع التشبيه التمثيلي[75].

ومن جميل الوصف ما وصف به أبو فراس الحمدني جسر منبج حيث يقول:

---

[74] عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني (ت: 471هـ)، ***أسرار البلاغة***، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ص 212. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي (ت: 429هـ)، ***أحسن ما سمعت***، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م، ص 56. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي (ت: 429هـ)، ***يتيمة الدهر***، تح: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983م، ج 1، ص 54.

[75] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، ***البلاغة العربية***، دار القلم، دمشق، ط 1، 1996م، ج 2، ص 187-188.

كَـأَنَّمـا المَـاءُ عَلَيـهِ الجِسْـرُ دَرْجُ[76] بَيـــاضٍ خُطَّ فِيـــهِ سَطرُ

كَأَنَّنـــا لَمَّا اســـتَتَبَّ[77] العَبرُ[78] أُســـرَةُ مُوسَـــى يَومَ شُـــقَّ البَحرُ[79]

وهنا يصف لنا الحمداني كيف أن الجسر قد عُقد وجُهّز، وأنه أصبح كخطٍّ قد رُسم ونُقش على صحيفةٍ بيضاءَ، فهو يُشبّه الماء بالصحيفة ويشبّه الجسر بالخط المرسوم عليها. ثم يشير إلى أنهم جماعة منتظرون تمام الجسر والتأكد من جاهزيته، وحينما تمَّ هذا وأصبح العبور والمرور آمنا عبروا النهر بسلام وطمأنينة كما عبر سيدنا موسى عليه السلام مع قومه وأسباطه البحر حينما شقه بعصاه.

وأما عن وصف ليل منبج، فقد ذكره كثير من الشعراء في أشعارهم، مما عرف عنها من صفاء ونقاء ليلها وسكونه، وخصوصاً بعد زيارة هارون الرشيد لها، وسؤال عبد الملك بن صالح الهاشمي ـ وكان ممن يُضرب به المثل في البلاغة ـ عنها ودار بينهما حوار ذكرته كتب الأدب والتاريخ، أوردوه عند ذكر منبج: (ومن منبج الشاعر البحتري وأبو فراس، وقبلهما ولد بها عبد الملك بن صالح الهاشمي، وكان أجلّ قريش ولسان بني العباس ومن يضرب المثل ببلاغته. وكان لما دخل الرشيد إلى منبج قال له: هذا البلد منزلك؟ قال يا أمير المؤمنين! هو لك ولي بك. قال: فكيف بناؤك به؟ فقال: دون منازل أهلي وفوق منازل الناس. قال: وكيف ذلك وقدرك فوق أقدارهم؟ قال: ذلك خلق أمير المؤمنين أتأسّى به وأقفو أثره وأحذو حذوه. قال: فكيف طيب منبج؟ قال: عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الأدواء. قال: كيف ليلها؟ قال: سحَر كلّه. قال: صدقت، إنها لطيبة. قال: بل طابت بأمير المؤمنين، وأنّى يذهب بها عن الطيب وهي برّة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء، فيافي منبج فيحٌ

---

[76] الدَّرج: ما يكتب فيه كالصحيفة. قال في الصحاح: الدَرْجُ: الذي يُكْتَبُ فيه، وكذلك الدَرَجُ بالتحريك. يقال: أنفذته في دَرْجِ الكتاب، أي في طَيِّهِ. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1987م، ج 1، ص 314.

[77] استتب: تمَّ وأمن، استقر.

[78] العبر: الجسر، والعبور، المرور على الجسر.

[79] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: سامي الدهان، ج 2، ص 228.

بين قيصوم وشيح. فقال الرشيد: هذا الكلام والله أحسن من الدر النظيم)[80]. وقد أخذ هذا الوصف لليل منبج بأنه سحَر كلّه غير واحدٍ من الشعراء العظام الكبار، كابن المعتزّ وأبي تمّام وابن الرّومي وغيرهم، واستخدموه في أشعارهم لجماله ـ وعُدَّ هذا من السّرقات ـ[81] ومن ذلك ما قاله عبد الله بن المعتز:

يـا رُبَّ لَـيـلٍ سَـــحَـرٌ كُـلُّـه مُفْتضِـحُ البَدرِ عَلِيلُ النَّسِـيمِ[82]

وقول أبي تمام:

أَيـامُـنَـا مَصْـــقُـولـةٌ أَطْـرَافُـهَـا بِـكَ والليـالِي كُلُّهَـا أَسْـحَـارُ[83]

وقول ابن الرومي:

كَـانَـتْ لَيَـالِيـهِ كُلُّهَـا سَـحَراً وَكَـانَ أيَّـامُـهُـنَّ كَـالـبُـكْـرِ[84]

ومن الذي قيل في وصف ليل منبج من أشعارٍ ما قاله أميّة بن أبي الصلت حينما وصف أبا فهر[85]:

وَلَا تَكلَفُوا بَالنَّدِّ وَالمِسْكِ بَعدَهَا تُرابُ أَبِي فِهْرٍ هُو المِسْكُ وَالنِّدُّ

---

[80] الغزي، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، ج 1، ص 396. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، ***العقد الفريد***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ، ج 7، ص 247. إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت: 453هـ)، ***زهر الآداب وثمر الألباب***، دار الجيل، بيروت، ج 2، ص 352. حسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، أبو هلال العسكري (ت: 395هـ)، ***ديوان المعاني***، دار الجيل، بيروت، ج 1، ص 70.

[81] حسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل، أبو أحمد العسكري (ت: 382هـ)، ***المصون في الأدب***، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1984م، ص 218.

[82] العسكري، ***ديوان المعاني***، ج 1، ص 70.

[83] حسن بن بشر، الآمدي (ت: 370هـ)، ***الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري***، تح: أحمد صقر، دار المعارف، ط 4، ج 1، ص 270.

[84] العسكري، ***المصون في الأدب***، ص 218.

[85] مكان تاريخي في تونس بناه السلطان الحفصي المستنصر ويعدُّ واحدا من قصوره وفيه حوض مائي فسيح جُلبت إليه الماء من جبل زغوان. الحِميري، ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، ص 422. أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي (ت: 749هـ)، ***مسالك الأبصار في ممالك الأمصار***، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط 1، 1423هـ، ج 4، ص 146.

جَنابٌ عَزيزٌ خَطَّهُ المَجْدُ والعُلَى وَأَلْقَى عَصَاه وَسْطَهُ اليُمْنُ والسَّعْدُ

وَرَوْضٌ نَضِيرٌ جَادَهُ الجُودُ وَالنَّدَى فَليسَ يُبَالِي بَعدُ مَا صَنَعَ العَهْدُ

نَمَت صُعُداً فِي جِدَّةٍ غُرُفَاتُهُ عَلَى عَمَدٍ مِمَّا اسْتجَادَ لَها الجَدُّ

تُخُيِّلْنَ قَامَاتٍ وَهُنَّ عَقَائِلٌ سِوَى أَنَّهَا لَا نَاطِقَاتٌ وَلَا مُلْدُ

فَأَسْحَارُهَا تُهْدِي لَهَا الطِّيبَ مَنْبِجٌ وَآصَالُها تَهْدِي الصَّبا نَحْوَها نَجْدُ

أَنَافَ عَلَى شُمِّ القُصُورِ فَلَم تَزَلْ تَنَهَّدُ وَجْداً لِلْقُصُورِ وَتَنْهدُّ

رَحِيبُ المَعَانِي لَا يَضِيقُ بِوَفْدِهِ وَلَو أَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهُمُ وَفْدُ[86]

أثبت الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس هذه الأبيات في ديوان ابن الأبّار أثناء تحقيقه له ضمن رسالة جامعية نال بها درجة دكتوراه الدولة في الآداب في كلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد في إسبانيا، وكتب في الحاشية عند هذه الأبيات أنها موجودة في كتاب تحفة القادم، وكما هو معلوم فإن كتاب التحفة هو لابن الأبّار، ترجم فيه لقرابة مئة شاعر وشاعرة من شعراء الأندلس الذين لم يترجموا في كتب التراجم الأخرى، وعند الرجوع لكتاب تحفة القادم الذي حققه الدكتور إحسان عبّاس وجدتُ أنَّ ابن الأبَّار نفسه قد أثبت هذه الأبيات في ترجمة أمية بن أبي الصلت ونسبها إليه، ولزيادة التأكد والتثبت نظرت في كتاب المقتضب من كتاب تحفة القادم فوجدت الشيء نفسه، فما كان مني إلا أن عدت إلى الديوان المجموع لابن أبي الصلت ولكن الأبيات لم ترد فيه[87].

---

[86] محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، ***ديوان ابن الأبّار***، تح: عبد السلام الهرّاس، طبع بأمر الملك محمد السادس برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المغرب، 1999م، ص 158.

[87] محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، ***تحفة القادم***، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986م، ص 11-12. إبراهيم بن محمد بن إبراهيم البلفيقي الأندلسي (ت: 616هـ)، ***المقتضب من كتاب تحفة القادم***، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1989م، ص 59.

وفي هذا ما يدعو الباحثين إلى إعادة النظر في هذين الديوانين المجموعين لابن الأبار وأمية ابن أبي الصلت؛ لما فيهما من أمور تحتاج إلى تنقيح وتحقبق. والذي يهمنا من هذه الأبيات قوله: (فأسحارها تهدي لها الطيب منبج). إن أمية ابن أبي الصلت وهو قائم في المغرب "الأندلس" يُلقي ببصره إلى المشرق "منبج" فيجد ليل منبج المعروف بالطيب والهدوء والسكينة قد خيّم على قصر أبي فِهر الذي يصفه وكأن منبج قد أهدت لليالي قصر أبي فهر ما تحمله من صفات لياليها من عبق وطيب وهدوء.

ومن الأشعار التي ذكرت ليل منبج في معرض الوصف ما قاله الكاتب البياسي:

هُمْ وَصَلُوا لَيْلِيَ بِلَيْلِ ابْنِ حَنْدَجِ[88] وَقَـدْ كَـانَ لَوْلَا بَيْنُـهُمْ لَيْـلُ مَنَبِجِ

لَيَالِيَ لَا نَجْمَ الزُّجَاجَةِ آفِلٌ هُنَاكَ، وَلَا بَدْرَ النَّدِيّ بِمُدْلِجِ[89]

وهنا يصف الشاعر ليله وقد بَعُد عنه مَن أحبّ وألف فيقول: إن أحبتي قد بعدوا وسافروا وتركوني وحيدا في ليل قد أسدل أطرافه علي بظلام كثيف شديد العتمة، وقد أنزل بي أنواع الهموم وأصناف الأحزان والألم ـ ليمتحنني ـ أأصبر على ضروب الشدائد وفنون النوائب أم أفزع وأخاف منها، وقد كان ليلي معهم مليء بالهدوء والسكينة والطمأنينة والعبق الطيب كوقت السحر الموصوف به ليل منبج؛ ولكن هجرهم لي ونأيهم عني قد أحلَّ بي ما أحل، وقد كانت لياليَّ معهم مليئة بالضياء والنور لا يفارقها الندى والعبير.

ومن الوصف أيضا ما وصف فيه البحتري نهر الساجور وشكواه من حرِّ العراق وحنينه لبرد الشام، حيث يقول:

---

[88] أراد بليل ابن حندج ليل امرئ القيس حيث يقول:

وليل كموج البحر أرخى سدولَه عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

[89] محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، ***الحلة السيراء***، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985م، ج 2، ص 254.

حَنَّتْ رِكَابِي بِالعِراقِ وَشَاقَهَا فِي نَاجِرٍ[90] بَردُ الشَآمِ وَرِيفُهُ

وَمَدافِعُ السَّاجُورِ حَيثُ تَقابَلَتْ فِي ضِفَّتَيهِ تِلَاعُهُ[91] وَكُهُوفُهُ

وَيَهيجُني أَلَّا يَزالَ يَزُورُنِي مِنهَا خَيالٌ مَا يُغَبُّ مُطِيفُهُ[92]

يصف البحتري كيف أن رحله وإبِله قد أجهدها العطش والتعب من شدة حرّ جوّ العراق وسخونته، حتى يبست جلودها وهي التي تتحمل العطش والحرارة العالية، وأنها قد حنّت إلى هواء الشام وريفه المعتدل الحرارة، البارد في الصيف الدافئ في الشتاء؛ وهنا يتكلم الشاعر عن الإبل؛ ولكنه يقصد نفسه. ثم ينتقل إلى البلد الذي ولد فيه ونشأ في ربوعه، ألا وهو منبج ـ وهي حينذاك من المدن الهامة في الشام ـ فبدأ في العام ثم انتقل إلى الخاص، فيصف فيها نهرها الساجور، وكيف أن مجراه ومسيله يتدفق بقوة واندفاع شديد لغزراة الماء فيه، وكيف أن شطّيه وطرفيه بين ارتفاع وانخفاض، وأنهما متقابلان يهدي أحدهما للآخر جماله وسحر منظره بين هضباته ومغاراته.

---

[90] النَّجَرُ: العطش، وكثرة شرب الماء مع عدم الأرتواء. والناجر: هو كل شهر في صميم الحرّ وشدته، لأن الإبل تنجر فيه، أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها. محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370هـ)، ***تهذيب اللغة***، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م، ج 11، ص 29.

[91] التِّلْعَةُ: ما ارْتَفَعَ من الأرضِ، وما انْهَبَطَ منها، ضِدٌّ، ومَسيلُ الماءِ، وما اتَّسَعَ من فُوَّهَةِ الوادي، والقِطْعَةُ المُرْتَفِعَةُ من الأرضِ، جمعها: تَلَعاتٌ وتِلاعٌ. محمد بن يعقوب، الفيروزآبادي (ت: 817هـ)، ***القاموس المحيط***، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005م، ص 707.

[92] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج3، ص 1423.

المبحث الثاني: الشوق والحنين

لقد قيل في غرض الشوق والحنين لمنبج أشعار كثيرة في مختلف العصور، ولعل أغلب الأشعار التي قيلت في منبج أو جاءت على ذكرها كانت في هذا الغرض، وهذا يعود لعدة أمور منها:

- إن بعض الشعراء الذين ولدوا فيها قد انتقلوا وسافروا منها إلى أماكن أخرى، ومن طبيعة الإنسان وفطرته وجود النزوع والوَلَه والحنين والتشوق للمكان الذي رأى فيه النور.
- إن الشعراء الذين عاشوا في منبج فترة من حياتهم، وكانت لهم ذكريات ومواقف قد حصلت معهم فيها، جعلتهم عند البعد عنه يتذكرون تلك الخواطر وما جرى معهم فيها، فحنوا واشتاقوا لتلك الأيام ولعودة العيش فيها.
- إن منبج قد دُمّرت وخرّبت مرات عديدة ـ كما ذكرنا في التمهيد ـ بسبب الزلازل والغزو عليها من قبل الروم والمغول وغيرهم، ولم يبق فيها حجر على حجر، وعدمت فيها الحياة قرابة خمسة قرون؛ وهذا ما جعل بعض الشعراء يحنّون ويشتاقون لما كانت عليه في الماضي من جمال وسحر وبهاء.
- إن بعض الشعراء كان يربطهم بمنبج شيء موجود فيها يعيش عليها، من محبوبة أو أم ـ كأبي فراس ـ أو مال "بيت أو أرض" أو صديق أو قريب أو شخص عزيز عليهم، مما دفعهم إلى الشوق والحنين إليها، لوجود من يحبون ويشتاقون إليه فيها.

وسأفرد لكل سبب من هذه الأسباب بعض المقطوعات، كما سلف من أمور وغيرها من أسباب جعلت غرض الشوق والحنين أوسع الأغراض التي ذكرت فيها منبج؛ وهذا ليس عائداً إليها فقط؛ فمن تتبّع ذكر المدن والأماكن في الشعر العربي، لوجد أن أغلبه قد قيل في التشوق والتلهف والتّوق إليها.

ومما قيل في هذا الغرض ما قاله البحتري ـ وهو ابن هذه المدينة ـ وكما هو حال معظم الشعراء في ذلك العصر، الذين تركوا مدنهم وبلداتهم وتوجهوا لمركز الخلافة في العراق، حيث الخليفة والوزراء والأمراء ورجال الدولة، بحثا عن الرزق والكسب والشهرة؛ على أن البحتري في العقود الأخيرة من عمره قد فاضت وكثرت أمواله وضيعاته، حتى أنه كان يركب في موكب من عبيده وغلمانه[93]؛ولهذا زاد تلهفه إليها رغبة في العودة إلى ربوعها؛ ولهذا كان يستجدي من رجال الدولة السماح له بالعودة، حيث قال في بداية قصيدته وهو يمدح أبا صقر إسماعيل بن بُلبل[94]:

أُقِيمُ عَلَى التَّشَوُّقِ أَم أَسِيرُ؟ وَأَعدِلُ فِي الصَّبابَةِ أَم أَجُورُ؟[95]

لقد بدأ البحتري مدحه لوزير الدولة بهذا البيت، فهو يلمح لممدوحه ما يريد وما يقصد من مدحه له في مطلع قصيدته فيقول: هل أبقى عندك ونار الشوق تلتهب فيَّ أم أسير وأذهب إلى ما أبغي وأرتجي؟ هل أعدل مع نفسي في حنيني وتلهّفي لبلدي أم أظلمها وأحيف بها في بعدي عنها؟

ثم بعد عدة أبيات من نفس القصيدة يصرح تصريحا تامّاً عمّا يريد فيقول:

وَفَرتُ عَلَيكَ مَالَكَ وَهوَ عِلْقٌ[96] مرَزّاً[97] لَيسَ عَادَتَهُ الوُفُورُ

فَعَوِّضْ مِنهُ جَاهاً أَرتَضيهِ وَمِثلُكَ عِندَهُ العِوَضُ الخَطِيرُ

---

[93] حسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463هـ)، ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه***، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1981م، ج 2، ص 185.

[94] اسماعيل بن بلبل الشيباني: أبو الصقر الكاتب، كان بليغا كاتبا شاعرا أديبا كريما، استوزره الموفق لأخيه المعتمد في سنة 265هـ. بلغ من الوزارة مبلغا عظيما، وسمي بالوزير المشكور، وبعد وفاة الموفق بيومين قبض احمد بن الموفق وعمه المعتمد على أبي صقر وعذبوه في السجن عذابا شديدا حتى مات سنة 278هـ. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، ج 9، ص 58-59.

[95] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 913.

[96] العِلْقُ: النَّفيسُ من كلِّ شيءٍ، ج: أعْلاقٌ وعُلوقٌ. الفيروزآبادي، ***القاموس المحيط***، ص 911.

[97] رَزَأَهُ مالَهُ، رُزْءاً، بالضم: أصابَ منه خيرا، والمرزأ: المنتقص بالسخاء منه. الفيروزآبادي، ***القاموس المحيط***، ص 41.

فَجُدْتَ وَجُزْتَ بِي أَقْصَى الأَمَانِي وَمِنْ عَادَاتِكَ الجُودُ الشَّهِيرُ

تُرَاكَ مُخَلِّفِي فِي غَيرِ أَرضِي وَإِنهَاضِي إِلى بَلَدِي يَسِيرُ!

وَقَد شَمِلَ امتِنانُكَ[98] كُلَّ حَيٍّ فَهَل مَنٌّ يُفَكُّ بِهِ أَسِيرُ؟

وَأَعتَقتَ الرِّقَابَ فَمُرْ بِعِتقِي إِلى بَلَدي وَأَنتَ بِهِ جَدِيرُ[99]

يعبّر البحتري في هذه الأبيات عما يريد بشكل واضحٍ، فهو ليس يقصد المال والعطايا من وراء مدحه الوزير، وإنما يطلب ويستجدي منه السماح له بالعودة إلى بلده منبج فيقول: إنك كريم سخيّ ولا تدّخر مالًا لنفسك وإنما توزّعه وتعطيه، وإن مالك لنفيس ذو قيمة وأنا سأوفّره لك هذه المرة، فإني لا أبغيه وإنما أبغي بدلا عنه رفعة ومجداً، وإن مثلك من يعطي البدل الجزيل، فإنك قد كرمت علي وجُدتَّ من قبل وأعطيتني أقصى ما أتمناه، وإن من عُرفِك البذل والعطاء. أتتركني في غير موطني وبلدي! وإرسالي إليه بالنسبة لك أمر سهل وهيّن؟! وأنت مَن عمَّ فضله وعطاؤه كلَّ مكان وبقعة، فهل من شيءٍ منه لي يُطلق به سراحي وتنحلّ به قيودي؟ وكم من شخصٍ قد أخليت سبيلَه وأعطيته الحريّة، فسرّحني وفرّج عني كي أعود إلى مدينتي ـ منبج ـ وأنت حريٌّ وحقيق بذلك.

وله أيضا في الشوق والحنين لمدينة منبج وهو يمدح المعتز بالله:

تَجَانَفَ[100] بِي نَهجُ الشَّآمِ وَطاعَ لِي عِنَانٌ إِلى أَبْيَاتِ مَنبِجَ مُطلَقُ

أَسُرُّ صَدِيقَاً أَو أَسُوءُ مُلَاحِياً وَأَنْشُرُ آلَاءً بِطُولِكَ تَنْطِقُ[101]

---

[98] المن: الإنعام والعطاء من غير تعب واصطناع الإحسان. جاء في تهذيب اللغة عند قوله تعالى: (وأنزلنا عليهم المنَّ) قال: الزجاج: المن في اللغة: ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب. الهروي، ***تهذيب اللغة***، ج 15، ص 338.

[99] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 916.

[100] الجُنُوفُ، بالضم: المَيْلُ. الفيروزآبادي، ***القاموس المحيط***، ص 797.

[101] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 3، ص 1536.

وهنا يعبر البحتري عن شوقه وحنينه بأن مشاعره وحبه قد مالا به إلى الشام، وأن فرس شوقه وحنينه قد أطلق عنانه إلى بلده منبج وأكنافها، حيث أدخل السرور إلى الأصدقاء والخلّان. وكذلك أسوء الأعداء والمغضين، وأتحدث عن أمجادك وفضائلك التي عمّت البقاع.

ويلتمس البحتري أيضا من ممدوحه أن يسمح له بالعودة إلى بلده في هذه الأبيات، ويظهر جليا مدى الشوق والتوق لمنبج والرجوع إليها؛ فهو مستعدّ لبذل أغلى ما يملكه مقابل إطلاق سراحه وفكّ قيوده، فيقول ممهّدا لما يريد:

وَأَعْطَيتَ طُلَّابَ النَّوَافِلِ سُؤلَهُم[102] فَمِن أَينَ لَا تُعطِي القَصَائِدَ سُولَها

وَوَلَّيتَ عُـمَّـالَ السَّوادِ[103] فَوَلِّنِي قَرارَةَ بَيتِي مُدَّةً لَن أُطِيلَها

قَصَرتُ مَسافَاتِ المَدائِحِ عَامِداً وَحَقُّكَ أَن تُعْطَى بِجَدواكَ طُولَها

حَبَستُ القَوافِيَ عَنْكَ وَهِيَ نَوازِعٌ تُجَاذِبُ مِن شَوقٍ إِلَيكَ كُبُولَها[104]

فَهَا أَنَا إِنْ تُطْلِق سَبِيلِي مُيَسَّراً إِلَى بَلَدِي أُطْلِق لَدَيكَ سَبِيلَهَا

وَمَا شَكَرَ النَّعمَاءَ مِثلِيَ شَاكِرٌ إِذَا قَائِلُ الأَقْوَامِ جَازَى فَعُولَها

فَكَيفَ تَرَانِي صَانِعاً فِي كَثِيرِهَا إِذا كُنْتُ أُجْزَى بِالكَثِيرِ قَلِيلَها[105]

---

[102] النوافل: الهبات. السؤل: الحاجة.

[103] السَّوَادُ: رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لأنّه حيث تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سوادا كما إذا رأيت شيئا من بعد قلت ما ذلك السواد، وهم يسمون الأخضر سوادا والسواد أخضر، كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب وكان أسود فقال:

وأنا الأخضر من يعرفني؟ أخضر الجلدة من نسل العرب

فسموه سوادا لخضرته بالزروع والأشجار. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 3، ص 272.

[104] الكبول: جمع الكبل وهو القيد، وقيل أعظم ما يكون من الأقياد.

[105] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 3، ص 1798.

يقول البحتري لممدوحه: إنك تعطي لمن يطلب من الهبات والهدايا حاجاتهم وما يريدون من أموال، فكيف لا تعطي لمن يقول فيك الشعر والقصائد ما يريد وما يبغي؟! ولقد جعلت الذين يعملون في رُستاق العراق ولاة وأعطيتهم ما يشاؤون وقرّبتهم منك، وأنا أطلب منك فقط أن تمنحني المكوث والقرب من بيتي في منبج مدة من الزمان لن تطول، ولسوف أعود إليك.

لقد جعلت مدحك في شعري قليلا قصيرا عمدا وقصداً مني، وأنت تستحق بفضل كرمك وسخائك المدح الطويل الكثير، وإني قد منعت وحجزت أشعاري عنك، وهي تنازعني وتميل إليك، وحبائل حبك موصولة فيَّ تتجاذب بين ذهاب وإياب، فإنك إن سمحت لي بالعودة إلى بلدي منبج، وسهّلت طريقي إليها أرخيت القيود عن أشعاري وقصائدي وجعلتها تسرح وتجول في مدحك، وأنت إن انجزت لي ما أريد فسأشكرك شكرا عظيما، فإني لا أجحد النعمة ولا شاكر لها مثلي. وإني لأقول الشعر الكثير بالشيء القليل، فكيف إذا ما منحتني حرية الرجوع إلى منبج، وهذا بالنسبة لي شيء عظيم، فإنك إن سمحت لي بالذهاب فسأمنحك بمقابل ذلك من الثناء والمدح شيئا لايُحصى.

وكما هو معلوم فإن أغلى ما يملكه الشاعر ويزيد من قيمته وقدره هو شعره، وهنا يلمّح لممدوحه بأن سبب منعه من الذهاب لبلده هو الحرمان من شعره، فهو يقول له: إنك إن أبقيتني فإن مدحي لك سيكون قليلا لأنك لم تعطني ما أريد، ولكن إن سمحت لي فإني سأبذل شعري لك مقابل السماح لي بالذهاب للبلد الذي اشتاق إليه وأحنّ.

ومن الأشعار في الشوق والحنين التي قالها أبو فراس في أسره متشوقاً فيها لأهله وأيامه الخالية التي عاشها في منبج وله فيها روابط وذكريات، حيث يقول:

لِأَيِّكُـــــــــمُ أَذكُـــــــــرُ؟ وَفِـــي أَيِّكُـــمْ أَفـــكِـــــرُ؟

وَكَـــــمْ لِي عَلَى بَلْدَتِي بُـكَـــاءٌ وَمُـسـتَـعْـبَـرُ[106]؟

فَـفِـي حَـلَـبٍ عُـدَّتِـي وعِـزِّيَ والـــــمَـفْـخَـرُ[107]

وَفي مَنـــــبِـــــجٍ مَن رِضَـــا هُ أَنْـــفَـــــسُ مَا أَذْخَرُ[108]

وَمَـــــنْ حُـــــبُّهُ زُلْفَـــةٌ[109] بِهَا يُكْـــــرَمُ الـــــمَحْشَـرُ[110]

وَقَـــــومٌ أَلِفـــــنَـــــاهُـــــمُ وَغُصْـــــنُ الصِّـبـــــا أَخضَـرُ

يُـــــخَـــــيَّلُ لي أَمرُهُـــــم كَـــــأَنَّـهُـــــمُ حُـــــضَّرُ[111]

يتساءل أبو فراس وهو في غياهب السجن مقاسيا آلام الأسر والبعد عن أهله وبلده، فمَن سيتذكر وفيمن سوف يتفكر وقد شَطُن وبَعُد عنه من يحب ومن يألف، فهو لبلده منبج محزون يئنّ لبعدها ويحنّ، وله في الشهباء ابن عمّ يعتمد عليه ويعتزّ به ويفخر، وله في منبج أمّ رضاها عنده أعظم شيئ يدخره ويخبّؤه في وقت الشدة والضيق، فحب أمه بالنسبة له شيئ يكرم به، وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى في يوم الحشر. ثم يتخيل أصدقاءه وأصحابه الذين ألفهم منذ نعومة أظفاره فيراهم كأنهم موجودن أمامه.

وله أيضا أبيات مشهورة ذكرها في أسره، أراد بها ذكر أمه المقيمة في منبج شوقا وحنينا، علّهما يعيناه على سجنه وأسره، فيقول:

---

[106] العَبْرة: الدَّمْعة، وَقِيلَ: هُوَ أَن يَنْهَمِل الدَّمْعُ وَلَا يُسْمَعَ الْبُكَاءُ، وَقِيلَ: هِيَ الدَّمْعَةُ قَبْلَ أَن تَفيض، وَقِيلَ: هِيَ تردُّد الْبُكَاءِ فِي الصَّدْرِ، وَقِيلَ: هِيَ الْحُزْنُ بِغَيْرِ بُكَاءٍ، وَالصَّحِيحُ الأَول. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 4، ص 531.

[107] يقصد سيف الدولة الحمداني.

[108] ويروى (أدخر) مكان (أذخر)، وكلاهما بمعنى أخبىء.

[109] زلف: الزَّلَفُ والزُّلْفةُ والزُّلْفَى: القُربةُ والدَّرَجة والمَنزلةُ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 9، ص 138.

[110] والمَحْشَرُ: الْمَجْمَعُ الَّذِي يُحْشَرُ إِليه الْقَوْمُ، وَكَذَلِكَ إِذا حُشِرُوا إِلى بَلَدٍ أَو مُعَسْكَر أَو نَحْوِهِ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 9، ص 138.

[111] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: سامي الدهان، ج 2، ص 206. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: عبد القادر محمد مايو، ص 133-134. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 166.

لَولَا العَـجُـــوزُ بِـمَـنـبِـجٍ مَا خِفْـــتُ أَسبَابَ الـــمَنِيَّه[112]

وَلَكـــانَ لِي عَـــمَّـــا سَـأَلـ ـــــتُ مِنَ الفِدا نَفـــسٌ أَبِيَّه

لَكِـــن أَرَدتُ مُـــرادَهَـــا وَلَوِ اِنـــجَذَبتُ إِلى الدَّنِيَّه[113]

وَأَرى مُـحَـــامَـــاتِـــي عَـلَيـ ـــهَا أَن تُضَـامَ مِنَ الحَمِيَّه[114]

أَمْـسَـــتْ بِـمَـنـبِـجَ حُـرَّةٌ بِالحُـزنِ مِن بَعدِي حَرِيَّه[115] [116]

في هذه الأبيات ذكر الفارس الأسير منبج وجعلها مقرونة مع ذكره لأمه التي صورها وجعلها سببا لتعلقه وطلبه للحياة والبقاء، ويظهر مما قاله أن مشاعره قد اختلطت بين شوق وحنين لأمه وبلده، وبين عزة وفخر قد يجعلاه نائياً عن طلب الفداء، وبين شعور بالشكوى والحزن والعتاب مما يعانيه في سجنه وأسره. فهو يقول: لولا وجود أمي الضعيفة الكبيرة السن في منبج واحتياجها لي لما هبت الموت وأسبابه، ولكان لي عن طلب تحريري وإطلاق سراحي نفس عزيزة لا تقبل الذلّ والهوان، ولكن أمي هي سبب وجودي وبقائي، فأنا أحنّ وأشتاق إليها، وهي تريد مني أن أكون قريبا منها، وهذا ما يدعوني لطلب الفداء رغبة في لقائها مع أن عزتي ومجدي لا يقبلان بهذا. وأنا عندما أدفع عن أمي الجور والحيف والذل فذلك من النخوة والأنفة والإباء المشكور. وها هي الآن في منبج وحيدة قد أسدل عليها ظلام الحزن وإنها لجديرة بأن أضحي لأجلها بكل ما أملك، ولو كان ذلك على حساب كرامتي.

---

[112] المنية: الموت.

[113] الدنيَّة: العمل القبيح.

[114] تضام: تظلم. الحميَّة: الإباء.

[115] حَرِيَّة: جديرة. جاء في مقاييس اللغة: قَوْلُهُمْ هُوَ جَدِيرٌ بِكَذَا، أَيْ حَرِيٌّ بِهِ. ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***، ج 1، ص 431.

[116] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: سامي الدهان، ج 3، ص 433-434. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: عبد القادر محمد مايو، ص 338. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 355.

فيا له من شوق وحنين جعل من صاحبه ـ وهو الفارس الأمير البطل المقدام ذو الأنفة والعزة والكرامة ـ أن يقبل بالفداء ويطلبه مقابل التحاقه ببلده منبج ورؤيته لأمه المسكينة.

ومما قيل في معرض الشوق والحنين الصريح المقصود لمنبج ما قاله الملك العزيز أبو منصور خسرو بن فيروز[117] حيث يقول:

أَعَلِيلُ أَنْفَاسِ النَّسِيمِ تَرَفَّقِ ... بِرُسُومِ مَنْبِجَ وَالرُّبَى مِنْ جُلَّقِ[118]

وَإِذَا وَنَيْتَ[119] وَسِرْتَ فِي عَرَصَاتِهَا ... فَاسْتَبِقْ جَدَّتَهَا[120] الَّتِي لَمْ تَخْلَقِ[121]

عَلَّ الزَّمَانَ يُعِيدُ مَنَبِجَ كَالَّذِي ... عَايَنْتُ[122] أَوْ تَبْقَى بَقِيَّةُ مَا بَقِي

أَرْضٌ إِذَا رَقَّ النَّسِيمُ بِجَوّهَا ... سَقَّيْتُهَا مِنْ دَمْعِيَ المُتَرَقْرِقِ

سُقياً لَهَا وَلِمُعْتَفِينَ صَحِبْتُهُمْ ... زَمَنًا بِمَنْبِجَ فِي الزَّمَانِ الْمُونِقِ

بَاكَرْتُهُمْ والصُّبْحُ يَرْفُلُ فِي الدُّجَى ... وَجُيُوبُ أَقْمِصَةِ الدُّجَى لَمْ تَشْقَقِ

وَالطَّيْرُ بَيْنَ مُصَفِّقٍ مُسْتَبْشِرٍ ... فَرَحًا وَبَيْنَ مَهْمُومٍ لَمْ يَنْطِقِ[123]

---

[117] الملك العزيز أبو منصور خسرو فيروز بن جلال الدولة أبي طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة الديلمي، صاحب واسط. ذكره الحافظ محب الدين محمد بن النجار في تاريخه وقال: ولاّه أبوه واسطا فأقام بها مدة حياته وأثر بها آثارا حسنة وغرس بها بستانا بديعا على دجلة وله شعر حسن قد دوّنه وروى عنه جماعة من الأدباء وكان كثير المطالعة لكتب الأدب. عبد الرزاق بن أحمد، ابن الفوطي (ت: 723هـ)، ***مجمع الآداب في معجم الألقاب***، تح: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط 1، 1416هـ، ج 1، ص 384.

[118] جِلَّق: اسم من اسماء دِمَشق. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 10، ص 36.

[119] النَّسِيم الوَانِي: الضَّعِيفُ الهبُوبِ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 15، ص 415.

[120] الجِدُّ: وَجْهُ الأَرض. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 3، ص 109.

[121] الخَلق: البالي. الفيروزآبادي، ***القاموس المحيط***، ص 881.

[122] عاينت: رأيت.

[123] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 7، ص 3260.

في هذه الأبيات يتشوق أبو منصور لمنبج التي تعرضت للخراب والدمار، فهو يحنّ للزمن الذي عاشه في أكناف منبج، ولأيامه التي قضاها في عرصاتها ولأصحابه الذين كانوا فيها، ويصور لنا صورة رائعة حيث أنه يتكلم ويخاطب الهواء والرياح التي ستمر بمنبج ويطلب منها أن تهدئ وتخفّف من سرعة هبوبها ريثما يمرّ بما بقي من منبج، فيقول: يا أيتها الريح إذا ما هببت على رسوم منبج وآثارها المتبقية، ترفقي بها وتمهلي ولا تكوني شديدة عليها، وحينما تمرين وتتجولين في ساحاتها وأزقّتها أبقي على ما تبقى في أرضها من آثار لم تبلُ ورسوم لم تندثر بعد كي لا تتعرّى ولا تزول. ثم يتمنى الشاعر عودة منبج كما كانت عليه من قبل؛ من بهاء وجمال وعظمة أو على الأقل أن يبقى ما فيها وأن لا يتعرض للأفول والاندثار. ثم إنه يتشوّق ويحنّ لأرض منبج وهوائها، وراح يصف حاله في منبج كيف كان مع أصحابه الذين كان يصاحبهم ويرافقهم في أجواء منبج وأصباحها العبقة النضرة.

وأيضا ممن عبر عن تشوقه لمنبج الوزير الشاعر إبراهيم بن المدبر[124] ولعل تلهفه إليها لشخص موجود فيها حيث يقول:

وَلَيْلَةُ عَيْنِ الْمَرْجِ زَارَ خَيَالُهُ ... فَهَيَّجَ لِي شَوْقًا وَجَدَّدَ أَشْجَانِي

فَأَشْرَفْتُ أَعْلَى الدَّيْرِ أَنْظُرُ ... طَامِحًا بِأَلْمُحِ آمَاقٍ وَأَنْظُرِ إِنْسَانِ

لِعَلِّي أَرَى أَبْيَاتَ مَنَبِجَ رُؤْيَةً ... تُسَكِّنُ مِنْ وَجْدِي وَتَكْشِفُ أَحْزَانِي

فَقَصُرَ طَرْفِي وَاسْتَهَلَّ بِعَبْرَةٍ ... وَفَدَيْتُ مَنْ لَوْ كَانَ يَدْرِي لَفَدَانِي

[124] ابن المدبر الكاتب إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر أبو إسحاق الكاتب، كان كاتبا بليغا شاعرا فاضلا مترسلا، روى عنه أبو الحسن الأخفش وأبو بكر الصولي وميمون بن هارون وجعفر بن قدامة الكاتب، خدم المتوكل مدة طويلة، وولاه ديوان الأبنية، ولم يزل في رتبة الوزراء وأحضر في سنة ثلاث وستين للوزارة فاستعفى لعظم المطالبة فاستكتبه المعتمد لابنه المفوض وضم إليه دواوين، قال الصولي: وإبراهيم بن المدبر كاتب جليل شاعر أديب كريم ليس في زماننا شاعر إلا وقد استفرغ بعض مدحه فيه قال أبو هفانا (يا ابن المدبر أنت علمت الورى ... بذل النوال وهم به بخلاء)، توفي إبراهيم بن المدبر ببغداذ سنة تسع وسبعين ومائتين وولد سنة إحدى عشرة ومائتين. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، ج6، ص71.

وَمِثْلُهُ شَوْقِي إِلَيْهِ مُقَابِلِي وَنَاجَاهُ عَنِّي بِالضَّمِيرِ وَنَاجَانِي[125]

يصف الشاعر هنا كيف أن خيال محبوبته المؤرّق لا يفارقه في نومه، وأن طيفها يجول في أحلامه كلما أغمض عينيه، ويمضي به إلى أيامه الخالية التي تأصلت ذكرياتها في ضمنه وباطنه، فتهيّج أشجانَه وتثيرُ أحزانَه وتزيد أشواقه؛ فراح يستشرف ديار حبيبته من بعيد بنظرات وآماقٍ حادّة ونفس ملوّعة، لعله يرى منبج التي تقطن فيها محبوبته، فيخفّف بذلك عناء شوقه وصعوبة البعد والحرمان الذي هو فيه؛ ولكن ما استطاع لهذا سبيلاً، ففاضت مقلتاه بالدموع مظهرا استعداده أن يفتدي أحبّته بنفسه، الذين لو كانوا مكانه لبادلوه نفس الشعور والفداء.

[125] علي بن الحسين بن محمد بن أحمد، أبو الفرج الأصبهاني (ت: 356هـ)، ***الديارات***، تح: جليل العطية، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط 1، 1991م، ص 103. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 5، ص 206.

المبحث الثالث: المدح

لقد ذكر الشعراء منبج أثناء مدحهم لممدوحيهم ـ وذلك لعدّة أسباب ـ فمنهم من كان سبب ذكره لها في شعره:

– أن ممدوحه كان يقطن فيها، وأن ما فيها من بهاء وجمال وعلوٍّ وسموٍّ يعود إلى سكن وإقامة الممدوح فيها.

– ومنهم من ذكرها بسبب أهميتها ومكانتها بين المدن حينذاك، وكون الممدوح يحكمها ويتولاه، أو أنه تمكن من فتحها والاستحواذ عليها.

– ومنهم من ذكرها أثناء مدحه لممدوحه بسبب ما فيها من صفات وخصائص دعت الشاعر لأن يشبهها بأيام ودولة ممدوحه.

واللافت للنظر أن أغلب الشعراء الذين ذكروا منبج في معرض المدح ليسوا من أبنائها ولا ممّن أقاموا فيها ولا عاشوا على ربوعها.

فالمثال على من كان ممدوحه مقيماً فيها، وأن الجمال الذي تتصف به إنما هو بسبب وجود ممدوحه فيها: قول المتنبي في ملك منبج شجاع بن محمد الطائي المنبجي حينما مدحه، حيث قال فيه:

مَا مَنبِجٌ مُذْ غِبتَ إِلَّا مُقلَةٌ ... سَهِدَت[126] وَوَجهُكَ نَومُهَا

فَاللَّيلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبيَضٌ ... وَالصُّبحُ مُنذُ رَحَلتَ عَنهَا أَسْوَدُ[128]

---

[126] سهدت: سهرت.

[127] الإِثْمِدُ: حَجَرٌ يُتَّخَذُ مِنْهُ الكحْل، وَقِيلَ: ضَرْبٌ مِنَ الْكُحْلِ، وَقِيلَ: هُوَ نَفْسُ الْكُحْلِ، وَقِيلَ شَبِيهٌ بِهِ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 3، ص 105.

[128] هذا من قول أبي تمام: وكانت وليس الصبح فيها بأبيض ... فأمست وليس الليل فيها بأسود

ملحم إبراهيم الأسود، ***بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام***، مطابع قوزما، بيروت، 1928م، ج 1، ص 246.

مَا زِلْتَ تَدنُو[129] وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى[130] فِي ثَرَاهَا الفَرقَدُ[131]

أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا[132] لَو كَانَ مِثلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ[133]

يقول المتنبي لممدوحه وهو يشبه منبج بالعين التي فارقها النوم: إن منبج مذ بعدت عنها أصبحت كالمقلة الساهدة التي أصابها الأرق، وإن وجهك بالنسبة لها بمنزلة النوم والكحل، وهما اللذان يحافظان على صحة العين وتصلح بهما؛ أي إن صلاح منبج يكون بإقامتك عليها ووجودك فيها، وإن ليل منبج قد أبيضّ وأضاء بنورك وضيائك حين قدمت إليها وأقمت فيها، وإن صباحها قد أسودّ وأعتم مذ بعدت عنها وخرجت منها، وأنت لم تزل تقترب من منبج وهي تزداد عزةً ورفعةً وعلوّاً لقربك منها، حتى علت النجوم فصارت فوق الفرقدين، وإن أرضاً سوى منبج لها شرف مثل شرفها فيما لو وجد فيها من الأفاضل مثلك؛ فشرفها بك. فلو وجد مثلك في غيرها لكانت تساويها في الشرف والرفعة والمكانة.

---

[129] تدنو: تقرب.

[130] توارى: استتر.

[131] الفَرْقدانِ: نَجْمَانِ فِي السَّمَاءِ لَا يغرُبانِ وَلَكِنَّهُمَا يَطُوفَانِ، وَقِيلَ: هُمَا كَوْكَبَانِ قَرِيبَانِ مِنَ القُطْب. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 3، ص 334. والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به، وبجانبه آخر أخفى منه، فهما فرقدان. قال قائلهم:

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخُوهُ ... لعَمْرُ أبيكَ إلا الفرقَدَانِ

عبد الرحمن البرقوقي (ت: 1944م)، ***شرح ديوان المتنبي***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2014م، ص 473.

[132] أرض: خبر عن محذوف؛ أي هي أرض. وسواها: مبتدأ، خبره: مثلها. وقال بعض الشراح: خبره: لها شرف، والضمير في لها: يرجع إلى سواها، ومثلها: نعت شرف، وهو على حذف مضاف؛ أي مثل شرفها.

[133] أحمد بن الحسين بن الحسن، أبو الطيب المتنبي (ت: 354هـ)، ***ديوان المتنبي***، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 49.

ومثال أهميتها ومكانتها بين المدن، وكون الممدوح يحكمها بعد أن تمكّن من فتحها: قول عماد الدين الأصبهاني[134] أيام الدولة النورية أو الزنكية في مدح الملك العادل نور الدين زنكي[135] حينما فتح منبج، واستبشاره بفتح بيت المقدس بعدها، حيث قال:

بُشْرَى المَمَالِكِ فَتْحُ قَلْعَةِ مَنْبِجِ ... فَلْيَهْنِ هَذَا النَّصْرَ كُلُّ مُتَوَّجِ

أُعْطِيْتَ هَذَا الفَتْحَ مِفْتَاحًا بِهِ ... فِي المُلْكِ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُرْتَجِ

وَافَى يُبَشِّرُ بِالْفُتُوحِ وَرَاءَهُ ... فَانْهَضْ إِلَيْهَا بِالْجُيُوشِ وَعَرِّجِ

أَبْشِرْ فَبَيْتُ القُدْسِ يَتْلُو مَنبِجَا ... وَلَمَنْبِجَ لِسِوَاهُ كَالْأُنْمُوذَجِ

مَا أَعْجَزَتْكَ الشُّهُبُ فِي أَبْرَاجِهَا ... طَلَبًا فَكَيْفَ خَوَارِجٌ فِي أَبْرُجِ

فَانْهَضْ إِلَى البَيْتِ المُقَدَّسِ غَازِيًا ... وَعَلَى طَرَابُلْسَ وَنابُلْسَ عُجِ[136]

---

[134] العماد الأصفهاني الكاتب أبو عبد الله محمد بن صفي، الملقب عماد الدين، الكاتب الأصبهاني.كان العماد فقيهاً شافعي المذهب، تفقه بالمدرسة النظامية زماناً وأتقن الخلاف وفنون الأدب، وله من الشعر والرسائل ما يغني عن الإطالة في شرحه. له تصانيف نافعة، منها: كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، وكتاب البرق الشامي، وكتاب الفتح القدسي، وكتاب السيل على الذيل ، وكتاب نصرة الفترة وعصره الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية، وله ديوان رسائل وديوان شعر في أربع مجلدات، ونفسه في قصائده طويل، كان له اتصال بسلاطين بني أيوب، كانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، وقيل في شعبان، سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان. وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر. ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 5، ص 147-150.

[135] الشهيد نور الدين زنكي، نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي، المشهور باسم "نور الدين الشهيد". قال ابن الأثير: لم يرَ بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن سيرة من الملك العادل "نور الدين". وهو أستاذ صلاح الدين الأيوبي، سماه بعض المؤرخين "سادس الخلفاء الراشدين" لعدله. وكان ملكاً عادلاً زاهداً عابداً ورعاً، متمسكاً بالشريعة مائلاً إلى أهل الخير، مجاهداً في سبيل الله تعالى، كثير الصدقات، بنى المدارس بجميع بلاد الشام الكبار مثل دمشق وحلب وحماة وحمص وبعلبك ومنبج والرحبة، كانت دولته تمتد من بلاد فارس في الشرق إلى حدود ليبيا في الغرب، ومن هضبة الأناضول في الشمال، إلى جبال اليمن في الجنوب، وكانت ولادته يوم الأحد عند طلوع الشمس سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وخمسمائة؛ وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة، بقلعة دمشق. ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 5، ص 184-188.

[136] عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة المقدسي (ت: 665هـ)، ***الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية***، مطبعة وادي النيل، مصر، القاهرة، 1287هـ، ج 1، ص 150.

ففي هذه الأبيات يظهر مدى أهمية وموقع منبج الأستراتيجي ومكانتها، فهي الباب للدخول إلى بلاد الشام؛ فمن استحوذ عليها وحكمها كانت لها أبواب الشام مفتوحة؛ حيث إنها كانت حصينة ومنيعة.

ويستبشر الأصبهاني بفتح منبج ويدعو بالتهنئة لهذا النصر، فيقول لنور الدين: إن فتحك لمنبج واستيلاءك عليها قد منحك مفتاحا تفتح به أي باب تريده. وتفائل الأصبهاني واستبشر بفتح القدس وتخليصها من أيدي الصليبين بعد فتح منبج. ففتح منبج سيكون مثالا ونموذجا لفتح المدن الأخرى. ثم يدعو الأصبهاني ممدوحه للجهاد والتوجّه جنوبا لفتح باقي المدن؛ كطرابلس ونابلس وصولا إلى بيت المقدس.

وفي أبيات أخرى للأصبهاني أيضا، قالها أيام الدولة الأيوبية في مدح السلطان صلاح الدين الأيوبي حينما دخل منبج، حيث يقول:

نُـزُولُـكَ فِـي مَـنْـبِـجٍ عَـلَـى الـظَّـفَـرِ الْـمُـبْـهِـجِ
وَنَـجْـحُـكَ فِـي الـمُـرْتَـجَـى وَفَـتْـحُـكَ لِـلْـمُـرْتَـجِ
دَلِـيـلٌ عَـلَـى كُـلِّ مَـا تُـحـاوِلُ أَوْ تَـرْتَـجِـي
أُمُـورُكَ فِـيـمَـا تَـرُو مُ واضِـحَـةُ الـمَـنْـهَـجِ
وَشَـانِـيـكَ دَامِـي الشُّـؤُو نِ مِـنْـكَ شَـقِـيٌّ شَـجِـي
وَمَـنْ كَـانَ فِـي حِصْـنِـهِ وَمِـنْ قَـبْـلُ لَـمْ يَـخْـرُجِ
يُـقـالُ له ليـس ذا بـعُـشِّـكَ قمْ فادرُجِ
فـرأْيُـك يسـتـنزلُ النـ ـجـوم مـن الأَبـرج
فـعـجِّـلْ عـبـورَ الـفـرا تِ وأَسْـرِ وسِـرْ وادلُـجِ
وَعُـجْ نَـحـوَ تِـلـكَ الـبَـلَا دِ وَعَن غَيـرِهَـا عَرِّجِ

فَـــحَـــــرّانُ والرَّقَـــتَـــــا نِ تَـــالِيـــــتَـــا مَنـــبـــجِ

وَاجْلِ عَنْ الـــمُسْـــــلِمِـــيـ ـــنَ لَيـــلَهُـــمُ الـــمُدَّجِـــي[137]

في هذه الأبيات يستبشر الأصبهاني بفتح حرّان والرقة من قِبل السلطان، بعد دخوله منبج وحكمه لها، ويبيّن مدى قوة السلطان وقدرته على فتح القلاع والحصون، مهما تحصّن أعداؤه فيها؛ فإن النجوم على علوّها وبعدها تنزل وتنخفض حينما ترى السلطان.

ويشجّع الأصبهاني السلطان ويطلب منه اجتياز نهر الفرات وعبوره نحو الضّفّة الأخرى باتجاه الشرق وفتح ما تبقى من المدن والحصون؛ ولهذا تظهر أهمية مدينة منبج، فهي بوابة الشام تجاه الجنوب والشرق، ومنها يبدأ الفتح نحو الشمال.

ومثال ما قيل في منبج لصفاتها وخصائصها دعت لتشبيهها بأيّام دولة الممدوح: ما قاله ابن سناء المُلك[138] حينما مدح الملك العادل أبا بكر[139] حيث قال:

مَدَائِحُه تُسلِّي المُحِبَّ عَن الهَوَى ويَسْرِي بِهَا رَكبُ الظَّلامِ مَعَ الرَّجَا

وَدَولَتُه أَيَّـامُهَـا سَـحَـرِيَّةٌ فَقَد أَصْبَحَت أَيَّامُه الغُرُّ مَنْبِجَا

---

[137] أبو شامة المقدسي، ***الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية***، ج 2، ص 406. محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم المازني، ابن واصل (ت: 697هـ)، ***مفرج الكروب في أخبار بني أيوب***، تح: جمال الدين الشيال- حسنين محمد ربيع- سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م، ج 2، ص 43.

[138] هو القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله بن محمد السعدي، الشاعر المشهور المصري، صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء، كان كثير التخصص والتنعم وافر السعادة محظوظاً من الدنيا، أخذ الحديث عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن محمد ابن أحمد السلفي الأصبهاني رحمه الله تعالى، توفي في العشر الأول من شهر رمضان، سنة ثمان وستمائة بالقاهرة. ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 6، ص 61.

[139] الملك العادل أبو بكر بن داود بن عيسى بن أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي سيف الدين الملقب بالملك العادل، كان قد جمع بين مكارم الأخلاق وحسن الصورة وسعة الصدر وحسن العشرة وكثرة الأفضال واحتمال الأذى وبذل المعروف ما لا يضاهيه في ذلك أحد من أبناء جنسه، وكان له ميل إلى الاشتغال بالعلم والأدب، وعنده ذكاء مفرط وحدة ذهن وعبارته حلوة، لم ير في زمانه أوفر عقلا منه ولا أكثر وقارا وحشمة، وكان له ميل إلى أرباب القلوب وأصحاب الإشارات يلازمهم ويقتدي بهم ويسلك ما يأمرونه به ويزور الصلحاء حيث سمع بهم، توفي في شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وست مئة، وصلي عليه يوم الجمعة بالجامع الأموي، وحمل إلى تربة جده المعظم بسفح قاسيون. الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، ج 10، ص 145.

فَمَادِحُهَا[140] بِالحُسنِ والطِّيب مَا افتَرَى الـ حَدِيثَ وَرَاوِي فَضْلِهَا مَا تَلَجْلَجَا[141]

أَرى مَدْح مَوْلَانَا عَليَّ فَرِيضةً سَأَشْدُو بِهَا شَدْوَ الحَمامِ مُهَرّجا[142]

يذكر ابن سناء منبج في معرض المدح فيقول في الأيام التي حكم فيها ممدوحُه مشبّها إيّاها بوقت السحر، وقد مر معنا سابقا وصفُ منبج بهذا: إن أيام دولة الملك العادل كوقت السَّحَر، فأيامه طيبة مباركة قد غمرها الهدوء والسكينة، والناس فيها آمنين مطمئنّين، وأن أيامه قد مُلئت جمالا وبهاءً وعزّا وشرفا كمنبج؛ فالذي يمدح أيام الملك العادل ويصفها بالملاحة والحسن والروعة ما كذب فيما قاله، والذي يذكر فضلها والبر والإحسان الذي فيها ما ثقل لسانه وما تعثر في الحديث عنها.

وهو بهذه الأبيات يمدح ويصف أيام الملك العادل، ولكن لم قصده من ذلك شمدح الأيام، وإنما يقصده الملك نفسه.

---

[140] الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب اسم –أي إلى منبج– ولكن سياق القصيدة والغرض منها يستدعي عودته إلى المقصود بالمدح وما يتعلق فيه وهو أيام حكم الممدوح ودولته.

[141] اللَّجْلجةُ: ثِقَلُ اللِّسانِ، ونَقْصُ الكلامِ، وأَن لَا يَخْرُجَ بَعْضَهُ فِي أَثر بَعْضٍ. وَرَجُلٌ لَجْلاجٌ وَقَدْ لَجْلَجَ وتَلَجْلَجَ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 2، ص 355.

[142] هبة الله بن جعفر بن سناء الملك (ت: 608هـ)، ***ديوان ابن سناء الملك***، تح: محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م، ج 2، ص 53-54.

المبحث الرابع: الفخر

تعددت أسباب الفخر حينما ذكر الشعراء منبج في أشعارهم؛ فمنهم من افتخر فيها بذاتها، ومنهم من ذكرها مفتخرا بأجداده أو قبيلته أو بقومه الذين استوطنوها.

ومثال من افتخر بمنبج لذاتها: ما قاله البحتري في نهاية قصيدته التي مدح فيها أبا الصقر إسماعيل بن بُلبل[143] حيث قال:

لَستُ بِالمُلحِفِ[144] المنَقِّبِ[145] عَن تِ طَرِيقٍ أَخَالُ[146] غَيرِي يَسِيرُه

وَسِوَايَ الغَدَاةَ تُحْدَى مَطَايَا هُ إِلَى مَنبِجٍ وَتَرحَلُ عِيرُه[147]

يقول البحتري في هذه الأبيات لممدوحه: أنا لست ممن يلحّ ويُكثر السؤال، ولا أبحث ولا أتطلّع إلى طريق يمشي فيه غيري؛ فأنا لا أقلّد ولا اتبع طريقة الآخرين في قولهم الشعر مقابل الهدايا والمكاسب، وذلك لأني ابن منبج التي يدخل إليها ـ ما عداي ـ في الفجر بخيله وعيره التي يمتطيها خاوية سروجها، وتغادرها وتخرج منها ليلاً وهي محملة بالأرزاق والمال.

فالبحتري يفتخر بمدينته منبج بأنها مدينة غنية مليئة بالخيرات والأرزاق، لا تُحوج أبناءها لأن يتزلّفوا لأحد بغية ما عنده من نوال وعطايا؛ حيث إنه مدح الوزير أبا صقر مشيرا بذيل هذه القصيدة الطويلة إلى أنه عزير ممتلئٌ كونه من أبناء مدينة منبج.

ومثال من ذكر منبج في معرض الافتخار بالآباء والأجداد ما قاله البحتري:

---

[143] ترجمته في الحاشية رقم 94.

[144] الإِلْحَاف: شِدَّةُ الإِلْحاح فِي المسأَلة. وَفِي التَّنْزِيلِ: (لا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحافاً). ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 9، ص 314.

[145] المنقب: الكثير البحث.

[146] أخال: أحسب.

[147] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 912.

جَدَّي الَّذِي رَفَعَ الأَذَانَ بِمَنبِجٍ وَأَقَامَ فِيهَا قِبلَةَ الصَّلَوَاتِ

وَأَبِي أَبُو حَيَّانَ قَائِدُ طَيِّئٍ لِلرُومِ تَحتَ لِوائِهِ المُنْصَاتِ[148]

وَوَلِيُّ فَتحِ الجِسرِ إِذ أُغري بِهِ عُمَرٌ وَفَاعِلُ تِلكُمُ الفَعَلَاتِ

وَخُؤولَتِي فَالحَوفَزانُ[149] وَحَاتِمٌ وَالخَالِدانِ الرَّافِدانِ حُمَاتِي[150]

يفخر البحتري في هذه القصيدة بجدّه الذي رفع الأذان وأقام الصلاة في منبج، وبأبيه الذي أطلق عليه طنية "أبو حيّان" الذي قاد قبيلة طيّئ في حربها مع الروم، وبجده عمر الذي كان قائدا في وقعة فتح الجسر، ثم بأخواله من بني شيبان.

ومثال من ذكر منبج في معرض الافتخار بالقبيلة والانتماء إليها ما قاله الأخطل[151]:

فَقَد أَصبَحَت مِنَّا هَوازِنُ[152] كُلُّها كَوَاهِي السُّلامَى زِيدَ وَقْراً عَلى وَقرِ[153]

سَمَوْنا بِعِرنينٍ[154] أَشَمَّ وَعارِضٍ[155] لِنَمنَعَ مَا بَينَ العِراقِ إِلى البِشْرِ[156]

---

148 المنصات: المستوي المستقيم.

149 الحوفزان: سيد بني شيبان وهو من بني همام بن مرة بن ذهل، واسمه الحارث بن شريك بن الصُّلب.

150 البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 363.

151 الأخطل شاعر زمانه واسمه: غياث بن غوث التغلبي، النصراني. قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح. وكان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل، ويفضله في الشعر على غيره. وللأخطل:

والناس همهم الحياة، ولا أرى ... طول الحياة يزيد غير خبال

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح الأعمال

حصل على أموال جزيلة من بني أمية، ومات قبل الفرزدق بسنوات. محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، الذهبي (ت: 748هـ)، ***سير أعلام النبلاء***، تح: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985م، ج 4، ص 589.

152 هوازن: قبيلة من قيس عيلان.

153 الواهي: الضعيف المنكسر. السلامى: عظام خف البعير. الوقر: الصدع والثقب في العظام.

154 العرنين: سيد القوم. وعرنين كل شيء: أوله. وعرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم. يقال: هم شم العرانين، والعرنين الأنف كله؛ وقيل: هو ما صلب من عظمه؛ قال ذو الرمة:

تثني النقاب على عرنين أرنبة ... شماء مارنها بالمسك مرثوم.

وفي صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان أقنى العرنين. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 13، ص 282.

155 العارض: الجيش العظيم. عرَض: العرض خلاف الطول، والجمع أعراض، ويقال: مر بنا عارض قد ملأ الأفق. وأتانا جراد عرض أي كثير. وقال أبو زيد: العارض السحابة تراها في ناحية من السماء. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 7، ص 147.

156 البشر: موضع في الجزيرة.

فَأَصبَحَ مَا بَينَ العِراقِ وَمَنبِجٍ لِتَغلِبَ تَردي بِالرُدَينِيَّةِ[157] السُّمرِ[158]

يقول الأخطل في هذه الأبيات مفتخرا بقبيلته: لقد صارت قبيلة هوزان بسبب حروبنا وغزونا عليها كعظام خُفّ البعير الضعيف المنكسر، الذي أصابه الصدع والتلف من كثرة الضغط عليه، وهذا ما جعلهم عُرجاً مكاسير غير قادرين على الحراك والمشي كمث دابّة شلّت حركتها فبركت منتظرة حتفها، وذلك لما أصابها من وهن في خُفّها.

ثم يفتخر بسيّد قومه وجيشهم العظيم الذي حموا فيه ما بين العراق إلى الجزيرة، فيقول: إن الأرض الممتدة من العراق إلى منبج قد أصبحت مرتعا لخيول وفرسان قبيلة تغلب، فهم يصولون ويجولون فيها ورماحهم تقضّ مضاجع كلّ من يخالفهم أو يُعاديهم.

ويفتخر الأخطل أيضاً بقبيلته في قصيدة أخرى يذكر فيها منبج، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على أهمية منبج في عصره وبعد منالها، وذلك لأنّها قاصية فاصلة بينهم وبين عدوّهم، لمكانتها التي تتبوّؤها بين المدن الأخرى في عهد الدولة الأمويّة، حيث يقول:

وَنَحنُ أُنَاسٌ لَا حُصُونَ بِأَرضِنَا إِذَا الحَربُ أَمسَت لَاقِحاً[159] أَو تَلَقَّحُ

وَإِنَّا لَمَمدُودُونَ مَا بَينَ مَنبِجٍ فَغافِ عُمانَ[160] فَالحِمى لِيَ أَفيَحُ[161]

وَإِنَّ لَنَا بَرَّ العِراقِ وَبَحرَهُ وَحَيثُ تَرى القُرقُورَ فِي المَاءِ يَسبَحُ[162]

---

[157] تردي: من الرديان. وهو أن يضرب الفرس الأرض بحوافره وهو يعدو. الردينية: رماح منسوبة إلى قرية ردينة في البحرين.

[158] غياث بن غوث بن الصلت، الأخطل التغلبي (ت: 92هـ)، ***شعر الأخطل***، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط 4، 1996م، ص 142. ***ديوان الأخطل***، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1994م، ص 115.

[159] اللاقح: الهائجة والمشتعلة بعد سكون. وحَرْب لاقحٌ: مَثَّلَ بالأُنثى الْحَامِلِ؛ وَقَالَ الأَعشى:

إذا شَمَّرَتْ بالناسِ شَهْبَاءُ لاقحٌ، ... عَوانٌ شديدٌ هَمْزُها، وأَظَلَّتِ

ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 2، ص 583.

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: 22]

[160] غاف عمان: موضع في عمان يكثر فيه شجر الغاف. الحموي، ***معجم البلدان***، ج 4، ص 183.

[161] الأفيح: الأوسع.

[162] القرقور: السفينة العظيمة. حسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، أبو هلال العسكري (ت: 395هـ)، ***التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء***، تح: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط 2، 1996م، ص 433. علي بن إسماعيل بن سيده (ت:

يقول الأخطل: نحن رجال بُداةٌ إذا ما الحرب بدأت أو أنها ستبدأ، فإنَّا لا نبني ونشيّد الحصون والقلاع لنمتنع بها عن الحرب والسجال؛ بل نحن من نسير ونسعى لها، فرجالنا وفرساننا منتشرون في أماكن واسعة فسيحة من الشمال إلى الجنوب بدءاً منبج وصولا إلى عمان. ليس هذا فحسب، فالعراق ببرّه وبحره تحت سيطرتنا، حتى إنّ السفن العظيمة الكبيرة التي تجري في دجلة والفرات، فهي أيضا طوع أمرنا وتحت حكمنا؛ لا يُنازعنا فيها أحدٌ غيرنا، وهذا مصدر قوّتنا وسبب إلقاء الرهبة في قلوب أعدائنا.

وذكر منبج هنا في معرض افتخاره بقبيلته يعود لرفعتها ومكانتها وعلوّ شأن من يحكمها ويسيطر عليها.

458هـ)، ***المخصص***، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1996م، ج 3، ص 19. الأخطل، **شعر *الأخطل***، ص 488-489. ***ديوان الأخطل***، ص 71.

المبحث الخامس: قصائد ذكرت فيها منبج في موضوعات مختلفة

لما كانت القصائد التي ذُكرت في معرض الوصف لمنبج والشوق والحنين إليها متعدّدة بأساليب مختلفة، استحقّ أن تُفرد لدراسة كلّ منها مبحث مستقل. وهذا ينطبق على الأشعار التي نظمت في غرضي المدح والفخر، وذلك لأنها وردت لأسباب متعدّدة، فاقتضى الحال أن تذكر فيها منبج؛ فأفردت في البحث والدراسة بمباحث خاصة.

ولكن لما كانت الأشعار التي ذكرت فيها منبج لأغراض أخرى ضئيلة ومحدودة ناسب أن تجمع وتدرس في مبحث واحد. وهذا ما تم تناوله والحديث عنه في هذا المبحث ضمن مطالب في موضوعات متباينة.

المطلب الأول: الغزل

ومن الشعراء مَن ذكر منبج في معرض التغزّل بالمحبوبة، ومثال ذلك ما قاله ابن مهدي الخوّافي[163] حينما تغزّل بخدود محبوبته تارةً وأخرى بعينها وحاجبها وبغير ذلك وصفاً وتشبيهاً فقال:

خُدُودٌ جَلَا التَّوْدِيعُ مِنْهَا خُدُودَهَا ... كَمَا فَتَقَتْ أَكْمَامَ وَرْدٍ مُضَرَّجِ

وَلَمْ أَدِرْ بَدْرًا قَبْلَهَا عَضَّ فِي الدُّجَى ... عَلَى عَنَمٍ[164] بِالْأَقْحُوَانِ المَفْلَّجِ

تُضَاهِي الدُّجَى فَرْعًا وَعَيْنًا وَحَاجِبًا ... سِوَى أَنَّهَا كَالْصُّبْحِ عِنْدَ التَّبَلُّجِ

دَخَلْنَا عَلَى اللَّذَّاتِ مِنْ جَانِبِ الصِّبَا ... وَقُلْتُ لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ أَلَا اُخْرُجِي

وَبِتْنَا عَلَى رَغْمِ الْهَوَى نَنْشُرُ الْهَوَى ... وَنَطْوِي رِدَاءَ اللَّيْلِ طَيًّا وَنَنْتَجِي

فَلَمَّا تَجَلَّى الصُّبْحُ ثَارَتْ كَأَنَّهَا ... غَزَالُ صَرِيمٍ[165] لَا غَزَالَةَ مَنْبِجِ[166]

وجاء ذكر مدينة منبج في هذه الأبيات في معرض الاستشهاد بطريقة التشبيه، فالشاعر هنا يتغزل بمحبوبته واصفا لها ولحاله معها عند اللقاء بها، وتذكّره لأيام الصبا معها ومناجاته لها وتحدثه معها في الليل الذي استمر حتى الصباح، فما إن تجلّى وبدت بوارقه انتفضت وذهبت كغزال في الليل المظلم، يحذر من كلّ شيئ حياءً وخجلاً من عيون الناس.

---

[163] عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي، أبو منصور: أديب شاعر فاضل لغوي مصنف في فنون من الأدب، فرضي حاسب من أتمّ الناس مروءة وأكثرهم نفعا. دخل بغداد واستوطنها وسكنها، وحدث بها. وكان أكثر رواياته الكتب الأدبية. ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626هـ)، ***معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب***، تح: إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993م، ج 4، ص 1527.

[164] العنم: شَجَرٌ لَيِّنُ الأَغصان لَطِيفُها له لون أحمر تشبه به الأصابع المخضوبة، وَاحِدَتُهَا عَنَمةٌ. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 12، ص 429.

[165] الصريم: الليل المظلم. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 12، ص 336.

[166] علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي (ت: 467هـ)، ***دمية القصر وعصرة أهل العصر***، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1414هـ، ج 2، ص 1193-1194. علي بن يوسف القفطي (ت: 646هـ)، ***إنباه الرواة على أنباه النحاة***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1982م، ج 2، ص 120-121.

المطلب الثاني: الرثاء

ومن الشعراء مَن تعرّض لذكر منبج في رثائه لمرثيّه، ومثالاً على ذلك ما قاله إبراهيم ابن هرمة[167] في رثائه للحكم بن المطلب[168]، حيث قال:

سَأَلَا عَنِ الجُودِ وَالمَعْرُوفِ أَينَ هُمَا ... فَقُلتُ إِنَّهُما مَاتَا مَعَ الحَكَمِ

مَاتَا مَعَ الرَّجُلِ المُوفِي بِذِمَّتِهِ ... يَومَ الحِفَاظِ[169] إِذا لَم يوفَ بِالذِّمَمِ

مَاذَا بِمَنبِجَ لَو تُنبَشْ[170] مَقَابِرُها ... مِنَ التَّهَدُّمِ بِالمَعرُوفِ وَالكَرَمِ[171] [172]

ومعنى قول ابن هَرمة: بأنه لو سألت عن حال ومآل الكرم والبر والإحسان لأُجبت بأنهم قد

---

[167] إبراهيم ابن هرمة أبو إسحاق بن علي الفهري، شاعر زمانه، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر الفهري، المدني. أحد البلغاء، من شعراء الدولتين. قال الدارقطني: هو مقدم في شعراء المحدثين. قدمه بعضهم على بشار. الذهبي، ***سير أعلام النبلاء***، ج 6، ص 207.

[168] الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب القرشي المخزومي، كان من أكرم الناس وأكثرهم سخاء في زمانه، خرج من المدينة وقدم منبج وسكنها مرابطا فيها إلى أن مات وسلك مسلك الزهد في آخر حياته. أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، ***لسان الميزان***، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 2002م، ج 3، ص 255.

[169] الحِفاظُ: المُحافَظَةُ على العَهْدِ، والوَفَاء بالعَقْد، والتَّمسُّك بالوُدّ. الهروي، ***تهذيب اللغة***، ج 4، ص 266.

[170] لو تنبشْ: سكّنت الشين مع عدم وجود جازم للمضارع، وقد علل أبو حاتم السجستاني ذلك بكراهة كثرة الحركات حينما سأله ابن دريد عن ذلك. (قَالَ ابْن دُرَيْد: فَسَأَلت أَبَا حَاتِم عَنْ قَوْله: لَوْ تنبشْ مقابرها لِمَ جزم؟ فَقَالَ: قَالَ قَوْمٍ من النَّحْوِيين: كَرَاهَة لِكَثْرَة الحركات، كَمَا قَالَ آخر: إِذَا اعوجَجْنَ قلتُ صاحبْ قَوِّم ... بالدَّوِّ أَمْثَال السّفِينِ الْعُوَّم، وَقَالَ: لَوْ قَالَ: لَوْ نبشتْ مقابرها لاستراح من اللّبْس وَكَانَ كلَاما فصيحًا). محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت: 384هـ)، ***الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء***، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995م، ص 262.

[171] هذه الأبيات قد نسبت في المصادر لغير شاعر فبعض الروايات قد نسبتها لعباءة بن عمر الراتجي وبعض الروايات نسبت الأبيات للراعي النميري على أن أقدم المصادر وأكثر الروايات وأصحها قد نسبت الأبيات لإبراهيم بن هرمة آخر من استشهد بشعره وقد أثبتت في ديوانه مع تخريجها. المرزباني، ***الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء***، ص 262. ابن عساكر، ***تاريخ دمشق***، ج 15، ص 46-47. محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: 538هـ)، ***أساس البلاغة***، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م، ج 2، ص 367. إسماعيل بن القاسم البغدادي، أبو علي القالي (ت: 356هـ)، ***أمالي القالي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م، ج 3، ص 241.

[172] إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة (ت: 176هـ)، ***ديوان إبراهيم بن هرمة***، تح: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب، العراق، النجف، 1969م، ص 280-281. ***شعر إبراهيم بن هرمة***، تح: محمد نفّاع-حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1969م، ص 204-205.

آلوا للزوال والانتهاء بموت الحكم بن المطلب وانتقاله من هذه الدار. ثم يشرع بمدحه ووصفه بأنه كان محلتزماً بعهده صادقاً بودّه محافظاً على ما أتمِن عليه في زمنٍ ضاعت فيه هذه الخصال واندثرت، فهو يوفي بذمته وعهده في مواطن الشدة والعسرة وصعوبة الوفاء بالذمة والعهود.

أما في البيت الثالث فهو يقصد من المقابر قبرَ مرثيّيه الحكم بن المطلب الذي مات

في منبج؛ وبهذا يريد أن يقول: لو نبش وحفر قبره الموجود في منبج لوجد فيه المعروف والكرم، أو أنه لو استُنطِق القبرُ لأفصح عن مكارم أخلاق مَن حلّ فيه.

المطلب الثالث: الحكمة

ذكر بعض الشعراء منبج في معرض الحكمة، ومن ذلك ما قاله أبو فراس الحمداني في قصيدة قالها في أسره، مخاطبا بها أمّه المقيمة في منبج، حيث يقول:

لَو كَـــانَ يُـــدفَـــعُ حَـادِثٌ ... أَو طَـــارِقٌ بِـــجَـــمِـــيـــلِ نِيَّه

لَـم تَـــطَّرِق نُـــوَبُ[173] الحَـوا ... دِثِ أَرضَ هَاتِـــيـــــكَ التَّقِيَّه

لَكِـــــن قَـــضَـــاءُ اللَّهِ وَال ... أَحْكُـــــامُ تَنفُـذُ فِي البَرِيَّـه

وَالصَّـــبـــرُ يَـــأتِـــي كُلَّ ذي ... رُزءٍ[174] عَـــلَى قَـــدرِ الرَّزِيَّه[175]

لازالَ يَـطـــرِقُ مَـنـــبِـجـاً ... فِـي كُـلِّ غَـادِيَـــةٍ[176] تَـحِـيَّه

فِيـــــهَا التُّقى وَالدِّينُ مَـــــجْ ... ـــمُـــوعَـــانِ فِي نَفـــسٍ زَكِيَّه

يَـــا أُمَّتَـــا لَاتَـــحـــزَنِـــي ... وَثِقِـــي بِفَـــضـــلِ اللَّهِ فِيَّه

يَـــا أُمَّتَـــا لَاتَـــيـــأَسِـــي ... لِلَّهِ أَلطَـــافٌ خَـــفِـــيَّه

كَـــم حَـــادِثٍ عَـنَّـــا جَـلا ... هُ وَكَم كَفَـــانَـــا مِن بَلِيَّه

أُوصِيـــكَ بِالصَّـــبـــرِ الـــجَمِيـ ... ـــلِ فَـــإِنَّهُ خَـــيـــرُ الوَصِيَّه[177]

في هذه الأبيات يظهر غرض الحكمة في شعر أبي فراس حيث يقول: لو كان حسن النية ينجي من الحوادث والمصائب لما أصيبت أمي بمكروه، لأنها تقية حسنة النية، ولكن حكم الله تعالى وقدره ماضٍ ونافذ في خلقه، وأن الله تعالى يلهِم ويمنح الصبر لكل ذي

---

[173] النوب: المصائب.

[174] ذو رزء: المصاب.

[175] الرزية: المصيبة.

[176] الغادية: السحابة التي تمطر في الغداة، أي في أول النهار.

[177] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: سامي الدهان، ج 2، ص 433-434. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: عبد القادر محمد مايو، ص 338. ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 355.

مصيبة على قدر الإبتلاء الذي نزل به. ثم يرسل الحمداني ـ الأسير عند الروم ـ تحيات مع السحب التي ستمر فوق منبج محمّلا إياها وصاياه وأشواقه لأمه المقيمة فيها. ثم يصف أمه بأنها قد جمعت التقوى والدين في نفسها الزكية الطاهرة، ثم يوصياها ويقول لها: لا تحزني يا أمّاه ولا تيأسي، فالله تعالى ذو لطف بعباده، فثقي به وتوكلي عليه، فكم نجّانا وحمانا بلطفه وفضله من حوادث جلَلٍ ومصائب كبرى، فليس لك إلا الصبر الجميل والرضا بما كتبه الله تعالى علينا، فإنه خير أمر تلتزمين به في وقت الشدة والمحنة.

المطلب الرابع: العتاب

أما في العتاب فتبرز قصيدة عبيد الله بن الحُرّ الجُعفي التي كانت عتاباً في صورة فخر؛ حيث إنه قد عاتب فيها مصعب بن الزبير[178] بسبب تقديمه أهل البصرة على عبيد الله بن الحُرّ الجُعفي وتقريب مصعب بن الزبير لسويد بن منجوف منه، وكان سويد خفيف اللحية[179]، حيث يقول في ذلك معاتبا ومفاخرا ومصوّراً مجلس مصعب ابن الزبير وحال الحاضرين فيه:

بَأَيِّ بَلاءٍ أَم بِأَيَّةِ نِعمَةٍ ... يُقَدَّمُ قَبلي مُسلِمٌ[180] وَالمُهَلَّبُ[181]

وَيُدعى ابنُ مَنجوفٍ[182] أَمامي كَأَنَّهُ ... خَصِيٌّ أَتَى لِلماءِ وَالعَيْرُ يَشرَبُ

وَشَيخُ تَمِيمٍ كَالثُّغامَةِ رَأسُهُ ... وَغَيلانُ عَنَّا خَائِفٌ مُتَرَقِّبُ

جَعَلتُ قُصُورَ الأزدِ مَا بَينَ مَنبِجٍ ... إِلى الغَافِ مِن وَادِي عُمانَ تُصَوّبُ

بِلادٌ نَفى عَنها العَدُوَّ سُيوفُنا ... وَصُفرَةُ عَنها نازِحُ الدارِ أَجنَبُ[183]

---

[178] مصعب بن الزبير بن العوام؛ استعمله أخوه عبد الله على البصرة، وقتل المختار بن أبي عبيد، وحارب بالعراقين عبد الملك بن مروان، إلى أن قتل سنة إحدى وسبعين للهجرة. قال الشعبي: ما رأيت أميراً على منبر أحسن من مصعب. ابن شاكر الكتبي، ***فوات الوفيات***، ج 4، ص 143.

[179] محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الطبري (ت: 310هـ)، ***تاريخ الرسل والملوك/ تاريخ الطبري***، دار التراث، بيروت، ط 2، 1387هـ، ج 6، ص 136.

[180] مسلم الباهلي والد قتيبة بن مسلم الباهلي، شاعر أموي.

[181] المهلب هو بن أبي صفرة.

[182] سويد: سُوَيْد بْن منجوف السدُوسِي، كُنْيَتُهُ أَبُو الْمنْهَال وَالِد عَليّ بن سُوَيْد بْن منجوف، عداده فِي أهل الْبَصْرَة، رأى عَليّ بن أَبِي طَالب رضي الله تعالى عنه، روى عَنهُ الْمسيب بْن رَافع. محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت: 354هـ)، ***الثقات***، دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ط 1، 1973م، ج 4، ص 323.

[183] الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، ج 6، ص 137. أحمد علي دهمان، ***عبيد الله بن الحر الجُعفي بين أناشيد البطولة وآلام الندم***، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، ص 88-89.

جاء في كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي في سبب ورود هذه الأبيات ما نصه: (أرسل مصعب بن الزبير إلى وجوه أهل الكوفة، فأحضرهم إلى مجلسه وأخبرهم بقصة عبيد الله ابن الحر، فقال له رجل منهم: أصلح الله الأمير! إني أخبرك عنه بأمر. فقال مصعب: وما ذلك؟ فقال: إنه جاء يوماً من الأيام فاستأذن عليكم فلم يأذن له الحاجب، وجاء مسلم بن عمرو الباهلي فدخل، وجاء المهلب بن أبي صفرة فدخل، وجاء إليك الناس واحدا بعد واحد، ثم دخل بعد ذلك عبيد الله بن الحر، فلما خرج سمعته يقول أبياتا حفظتها منه)، وذكر الأبيات مع اختلاف بالألفاظ[184].

يقول ابن الحر في هذه الأبيات: بسبب ماذا حكم عليّ بالمنع والشقاء والانتظار على الأبواب؟ وبسبب أي فضيلة يقدّم غيري عليّ، ويسمح له بالدخول كمسلم والمهلب؟ ويستدعى ابن منجوف ويدخل قبلي ويمرّ من أمامي وكأنه صبي قد فقد رجولته وانحطت قيمته. وأيضا ممن كان حاضرا شيخ تميم الذي اشتعل رأسه بالشيب وكأنه ثغامة، وأيضا غيلان الخائف المذعور كان حاضرا. ثم ما يلبث ابن الحر إلا أن يذّكر مصعب بن الزبير بنفسه وبتاريخه المجيد، فيعتز بنفسه ويفتخر بأنه قد أعمل سيفه في قصور الأزد وجعل أهلها شذر مذر تائهين هائمين على وجوههم متفرقين في البلاد من عمان حتى منبج. فذكر منبج هنا للمبالغة، وفيه دليل على أهميّتها في ذاك العصر، فكانت مضرباً للمثل في البعد وطول المسافة.

ومن العتاب أيضا ما عاتب به أبو فراس ابن عمه سيف الدولة، حينما أبطأ في تخليصه من أسره، فعاتبه في أبيات ممزوجة بالشوق والحنين لبلدته منبج، حيث يقول:

---

[184] وردت الأبيات في كتاب الفتوح بهذه الألفاظ:

بأي بلاء أم بأية نعمة ... بمسلم قبلي يبتدي والمهلب

ويدعى ابن منجوف أمامي كأنه ... يطاعن قلبي بالوشيج المغلب

بسوء بلاء أم لقتل عشيرتي ... أذل وأقصى عن حجابات مصعب. أحمد بن اعثم الكوفي (ت: 314هـ)، ***كتاب الفتوح***، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط 1، 1991م، ج 5، ص 297.

اِرثِ لِصَـــبٍّ بِـكَ قَـد زِدْتَـه عَـلَـى بَـلَايـا أَسْـــرِه أَسْـــرَا

قَـدْ عَـدِمَ الـدُّنْـيَـا وَلَـذَّاتِـهَـا لَـكِـنْـهُ مَـا عَـدِمَ الصَّـــبـرا

فَـهُوَ أَسِـــير الْجِسْـــم فِي بَلْـدَة وَهُوَ أَسِـــير الْقلـب فِي أُخْرَى[185]

جاء في تاريخ الطبري عند ذكر هذه الأبيات أن أبا فراس قد أسر في منبج التي كان متوليا إمارتها عندما دخلها الروم[186]. يقول أبو فراس في هذه الأبيات لسيف الدولة ليرقَّ قلبك وليشفق عليَّ، فأنا أهواك وأعشقك ولكنك قد زدت أسري ومصائبي التي أعانيها في السجن أسراً آخر علاوة عليه. صحيح أنني صابر ومحتسب ولكني بحكم الميت وأنا على قيد الحياة، قد فقدت كل ما في الدنيا من طيبات ونعم؛ فجسمي قد كتب عليه البعد والغربة فهو محجوز مأسور في بلدة ليس لي فيها ما يؤنسني ويسليني، ولكن قلبي وروحي قد تعلقا وشغفا ببلدة لي فيها من الذكريات والروابط الشيء الكثير حيث أمي وأحبابي، ألا وهي منبج. فهو يعاتبه لإهماله إياه وتباطئه في دفع الفدية مقابل فكّ أسره، ولحرمانه من بلده وأحبابه.

[185] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 118. الثعالبي، ***يتيمة الدهر***، ج 1، ص 91.

[186] الطبري، ***تاريخ الرسل والملوك***، ج 11، ص 393.

المطلب الخامس: التوجع والشكوى

لقد ذكر الشعراء منبج عند توجعهم من الحال التي هم عليها، وعبروا عن شكواهم من الواقع الذي يعيشونه فمن ذلك ما ذكره البحتري في شكواه للمبرد[187] مما آل له أمره في العراق ولعله قد قال هذه الأبيات حينما تقدمت به السن لذكره الشيب وحنينه لأيام صباه فيقول:

وَمِن عَادَتِي وَالعَجْزُ مِن غَيرِ عَادَتِي ... مَتَى لَا أَرُحْ مِن حَضرَةِ الذُّلِّ أُدْلِجِ[188]

فَلَولَا الأَمِيرُ ابنُ الأَمِيرِ وَوَعدُهُ ... لَقَلَّ عَلى أَهلِ العِراقِ مُعَرَّجِي

قَنِعتُ عَلى كَرهٍ[189] وَطَأطَأتُ نَاظِرِي ... إِلى رَنقٍ مَطرُوقٍ مِنَ العَيشِ حَشرَجِ[190]

وَلَجلَجتُ فِي قَولِي وَكُنتُ مَتَى أَقُل ... بِمُسمِعَةٍ فِي مَجمَعٍ لَا أُلَجْلِجِ

يَظُنُّ العِدَى أَنِّي فَنِيتُ وَإِنَّما ... هِيَ السِّنُّ فِي بُردٍ مِنَ الشَّيبِ مُتهَجِ

فَمَن مُبلِغٌ عَنِّي الثُمالِيَّ[191] أَنَّهُ ... مَكانُ اِشتِكَائِي خَالِياً وَتَفَرُّجِي

---

[187] أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمُبَرِّد ينتهي نسبه بثمالة، وهو عوف بن أسلم من الأزد، أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري. ولد المبرد بالبصرة، ولقب بالمبرد قيل: لحسن وجهه، وقيل: لدقته وحسن جوابه، ونسبه بعضهم إلى البردة تهكما، وذلك غيرة وحسدا.. قال عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب، وأبو بكر بن أبي الأزهر: كان أبو العباس محمد بن يزيدَ من العلم وغَزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، ومُلُوكِيَّة المجالسة، وكَرَم العِشْرة، وبلاغة المكاتبة، وحَلاوة المخاطبة، وجَوْدة الخط، وصحَّة القريحة، وقُرْب الإفهام، ووضوح الشرْح، وعُذوبة المنطق.. على ما ليس عليه أحد ممَّن تقدَّمه أو تأخَّر عنه (ت: 286هـ). محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي (ت: 379هـ)، ***طبقات النحويين واللغويين***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2، ص 101.

[188] الإدلاج: السير في الليل. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: 170هـ)، ***كتاب العين***، تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج 6، ص 80.

[189] الْكَرْهُ: أَنْ تُكَلَّفَ الشَّيْءَ فَتَعْمَلَهُ كَارِهًا. ابن فارس، ***معجم مقاييس اللغة***، ج 5، ص 172.

[190] الرنق: الماء الكدر. محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ)، ***جمهرة اللغة***، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987م، ج 2، ص 793. الحشرج: قَالَ اللَّيْث: الحَشْرَجَةُ: تردُّد صَوت النفَس وَهُوَ الغرغرة فِي الصَّدْر. قَالَ: والحَشْرَجُ المَاء العذب من مَاء الحِسْي. قلت: الحشرَجُ المَاء الَّذِي تَحت الأَرْض لَا يُفطن لَهُ فِي أَبَاطح الأَرْض، فَإِذا حُفِر عَنْه وَجْهُ الأَرْض قَدْر ذِراعين جَاشَ المَاء الرَّواء، تسميها الْعَرَب الأَحْسَاء والكِرَارَ والحَشَارِج. الهروي، ***تهذيب اللغة***، ج 5، ص 202.

[191] المقصود هو المبرد لانتسابه إلى ثمالة. ترجمته في الحاشية 177.

أَأَطلُبُ أَنصَاراً عَلَى الدَّهرِ بَعدَمَا ثَوَى مِنهُمَا فِي التُّربِ أَوسِي وَخَزرَجي

مَضَوا أَمَماً قَصداً وَخُلِّفتُ بَعدَهُم أُخَاطِبُ بِالتَّأميرِ والِيَ مَنبِجِ[192]

يظهر من هذه الأبيات حال البحتري، وكيف أنه يشتكي من معاملة أهل العراق له، وبلأخص بعد موت المتوكل الذي شبهه بالأوس والخزرج في نصرته ومد يد العون له، حيث يريد القول أنه بمصرع المتوكل لم يبق له من ينصره ويعينه. أما عن ذكره لمنبج فإنه عبر عن تذمره وتوجعه من واقعه الذي آل إليه، فإنه بعد أن كان من المقربين للبلاط السلطاني وكان الأمراء والولاة يستكسبون رضاه؛ لأنه كان في طبقة الخلفاء والسلاطين والملوك والوزارء، ويدخل عليهم متى شاء، أصبح يخاطب والي منبج ويتكلم معه بصفة التبجيل والتعظيم وكأنه أمير.

وقد أُخِذَ هذا التعبير والوصف عن البحتري واستخدم في الشعر مثال ذلك ما قاله ناصح الدين الأرجاني معبرا عن توجعه وشكواه أيضا:

أَطَلْتُ لِأَبْنَاءِ الزَّمَانِ تَوسُّمِي فَلَم أَرَ فِي الفِتْيانِ غَيرَ مُزَلَّج[193]

فَمَن ذَا بِتَأمِيرٍ أُخَاطِبُ مِنهُمُ وَقَد صَارَ كُلُّ القُومِ وَالِيَ مَنبِج

فَأُقسِمُ لَولَا الغُرُّ مِن آلِ قَاسِمٍ لَقَلَّ عَلَى أَهلِ الجِّبَالِ مُعَرَّجِي[194]

ومن قصائد التوجع والشكوى ما قاله محمد بن درباس الآمدي:

إِذَا لَاحَ بَرقٌ نَحْوَ مَنْبِجَ خلَّبٌ يُرَاقِبُهُ إِنْسَانُ عَيْنِي فَيَسْكُبُ

أَمَا آنَ لِلتَّفْرِيقِ مِنْكُمْ تَجمُّعٌ أَمَا آنَ لَلنَّأْيِ الْمُشِتِّ تَقَرُّبُ

---

[192] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 416-418.

[193] المزلج: الضعيف، البخيل.

[194] أحمد بن محمد بن الحسين، ناصح الدين الأرجاني (ت: 544هـ)، ***ديوان الأرجاني***، تح: محمد قاسم مصطفى، دار الرشيد للنشر، العراق، 1979م، ج 1، ص 283.

أَمَا أَزِفَ الْوَصْلُ الْمُؤَمَّلُ مِنْكُمُ أَمَا رَدِفَ[195] الْوَعْدُ الَّذِي هُوَ مُسْهِبُ

سَرُوا بِشَقِيقِ الشَّمْسِ لَا بَلْ جَمَالُهُ إِذَا أَشْرَقَتْ تَجْلُو دُجَنَّةَ[196] [197]

يظهر في هذه الأبيات حال الشاعر الذي عبر عن شوقه وحنينه في معرض التشكي والتوجع فهو يقول: إذاما رأيت شهابا أو نجما في السماء يسير جهة منبج، فإن بصري وعيوني تتبعه وتحدق به، وهي مليئة بالدموع تسكبها وتذرفها شوقا وحنينا إليها. وهنا يقصد الشاعر من يسكنها ويقيم فيها من أحبته وخلّانه والدليل في البيت التالي. ثم يتساءل الشاعر معبرا عن توجعه وشكواه؛ أما حان الوقت لأن نجتمع بعد هذا الفراق؟! أما آن لهذا البعد أن ينتهي؟! ألم يقترب زمن الوصل واللقاء المأمول بكم؟! أما آن للوعود الكثيرة المتتابعة أن تنجز؟!. وفي النهاية يعلل الشاعر نفسه بوصف من يحب وأنه كالشمس إذاما طلعت انجلى الظلام وانتشر النور.

[195] الرِّدْفُ: مَا تَبِعَ الشيءَ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَبِع شَيْئًا، فَهُوَ رِدْفُه، وَإِذَا تَتابع شَيْءٌ خَلْفَ شَيْءٍ، فَهُوَ التَّرادُفُ، وَالْجَمْعُ الرُّدافَى. ابن منظور، ***لسان العرب***، ج 9، ص 114.

[196] الدُّجُنَّةُ: الظُّلْمَةُ. الفيروزآبادي، ***القاموس المحيط***، ص 1195.

[197] عمر بن الخضر بن اللمش (ت: 640؟هـ)، ***تاريخ دنيسر***، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط 2، 1992م، ص 164.

الفصل الثاني

شعراء من منبج

في هذا الفصل مبحثان؛ المبحث الأول: شعراء العصر القديم، وفيه مطلبان؛ الأول: في الشعراء المشهورين، والثاني: في الشعراء المغمورين.

أما المبحث الثاني: ففي شعراء العصر الحديث ممن فارق الحياة.

المبحث الأول: شعراء العصر القديم

المطلب الأول: الشعراء المشهورون

أولا: البحتري

أبو عُبادَة الوَلِيد بن عُبَيد بن يحيى بن عُبَيد الطَّائِيّ البُحْتُرِي المَنْبِجِي، والبحتري نسبة إلى جده بُحْتُر بن عُتُود الطائي، ويعود نسبه إلى يعرب بن قحطان[198].

هناك شعراء يعرفون بمدنهم فينسبون إليها، وآخرون على العكس تعرف مدنهم بهم، ومنهم البحتري، فإذا ما قلنا مدينة البحتري يتراود إلى العقل والفكر منبج.

وسأورد قبل الحديث عنه بعض الشهادات والأقوال التي قيلت في حقه:

جاء في ديوان المعاني للعسكري ما نصه: (أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولي سمعت عبد الله بن المعتز يقول: لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها وقصيدته في صفة البركة

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيلَى نُحِييهَا ...

واعتذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها

أَلَم تَرَ تَغْلِيسَ الرَّبِيعِ المُبكِرِ ...

[198] ابن عساكر، ***تاريخ دمشق***، ج 63، ص 188.

وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده[199]).

وجاء في جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر ناقلا عن الثعالبي في كتابه برد الأكباد ما نصه: (قال أبو القاسم الإسكافي استظهاري على البلاغة بثلاثة: القرآن وكلام الجاحظ، وشعر البحتري[200]).

وقال ابن الأثير في كتابه المثل السائر متحدثا عن البحتري ما نصه: (أما أبو عبادة البحتري فإنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى، وأراد أن يشعر فغنّى، ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الإطلاق، فبينا يكون في شظف نجد إذ تشبث بريف العراق، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه، وعن أبي تمام، وعن نفسه؛ فقال: أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البحتري، ولعمري إنه أنصف في حكمه، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه؛ فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء، في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء، فأدرك بذلك بعد المرام، مع قربه إلى الأفهام، وما أقول إلا أنه أتى في معانيه بأخلاط الغالية، ورقى في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية[201]).

يقال عن شعره سلاسل الذهب، وذلك نظراً لجودته[202]. كان البحتري واحداً من ثلاثة من أشهر شعراء العصر العباسي، وهم المتنبي وأبو تمام والبحتري.

---

[199] العسكري، ***ديوان المعاني***، ج 1، ص 218.

[200] محمود محمد شاكر، ***جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر***، جمع: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2003م، ج 2، ص 614.

[201] نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن الأثير (ت: 637هـ)، ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر***، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ، ج 2، ص 348-349.

[202] ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 6، ص 23.

هناك اختلاف في تاريخ ميلاد البحتري ومكان ولادته، فقد جاء في معجم البلدان أنه قد ولد في قرية حُردُفنة، وهي قرية من قرى منبج[203] ، وقيل في منبج نفسها. أما عن تاريخ ولادته فقد قيل سنة 200هـ نقلا عن أبي علاء المعري ، وقيل سنة 205هـ وهو المشهور[204]. إذن البحتري قد ولد في منبج وتلقى فيها علومه في الدين واللغة والأدب [205]. بدأ طريقه بحفظ الشعر القديم ثم بدأ بنظم الشعر حيث ورد بأنه في شبابه ـ قبل أن يلتقي بأبي تمام وذهابه إلى العراق ـ كان يمدح أصحاب البصل والباذنجان حيث ورد في تاريخ دمشق: (حدثنا صالح بن الأصبغ التنوخي المنبجي قال رأيت البحتري ها هنا عندنا قبل أن يخرج إلى العراق يجتاز بنا في الجامع من هذا الباب إلى هذا الباب وأومأ إلى جنبتي المسجد يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر في ذهابه ومجيئه ثم كان منه ما كان[206]).

أراد البحتري أن يطور نفسه وصقل موهبته فرحل إلى حمص وشاءت الأقدار أن التقى بأبي تمام، فقام بعرض شعره عليه وتقرّب إليه ليتعلم منه، وقد رأى أبو تمام في البحتري موهبته وقدرته على نظم الشعر فوجهه وساعده، (واتسع برحلاته إلى حمص، وكأنما كان السّعد معه على ميعاد، فإذا هو يسمع بأن أبا تمام بها والشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فعرض عليه شعره، فأقبل عليه، وقال له: أنت أشعر من أنشدنى فكيف حالك، فشكا إليه خلّة، فكتب إلى أهل معرّة النعمان: يصل كتابى مع الوليد أبى عبادة الطائى وهو على بذاذته"سوء حاله" شاعر فأكرموه. واستقبلوه استقبالا حسنا ووظّفوا له أربعة آلاف درهم. وفى رأينا أنه لم يصله بأهل معرة النعمان فقط، فقد وصله أيضا ببعض ممدوحيه إذ نراه يقبل على بعض من خصّهم بمديحه فيمدحهم، مثل آل حميد الطوسي في الموصل، وخالد بن

---

[203] الحموي، ***معجم البلدان***، ج 2، ص 240.

[204] الحموي، ***معجم البلدان***، ج 2، ص 240.

[205] ابن عساكر، ***تاريخ دمشق***، ج 63، ص 189.

[206] بن عساكر، ***تاريخ دمشق***، ج 63، ص 190.

يزيد الشيباني وإلى أرمينية والثغور، وأبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى الطائى الذى ولاه المعتصم حلب وثغور الشام والجزيرة، وقد لزمه ولزم ابنه يوسف، ويبدو أنه أول من اتصل بهم من ممدوحي أبى تمام[207]).

واعترافا من البحتري بفضل أبي تمام عليه ونصحه له وتعلمه منه قال: (كنت في حداثتي أروم الشّعر، وكنت أرجع فيه إلى طبع، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه، ووجوه اقتضابه، حتى قصدت أبا تمام، وانقطعت فيه إليه، واتّكلت في تعريفه عليه؛ فكان أول ما قال لى: يا أبا عبادة؛ تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغموم، واعلم أن العادة جرت في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السّحر؛ وذلك أن النّفس قد أخذت حظّها من الراحة، وقسطها من النوم، وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رشيقا، والمعنى رقيقا، وأكثر فيه من بيان الصّبابة، وتوجّع الكابة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، فإذا أخذت في مديح سيّد ذى أياد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأبن معالمه، وشرف مقامه، ونضدّ المعاني، واحذر المجهول منها، وإيّاك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة، ولتكن كأنك خيّاط يقطع الثياب على مقادير الأجساد. وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك، ولا تعمل شعرك إلّا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشعر الذّريعة إلى حسن نظمه؛ فإن الشهوة نعم المعين. وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين، فما استحسن العلماء فاقصده، وما تركوه فاجتنبه، ترشد إن شاء الله[208]) وقد جعل البحتري وصية أستاذه دستورا له في نظمه الشعر. ثمّ انتقل البحتري بعد ذلك إلى

---

[207] شوقي ضيف، ***تاريخ الأدب العربي***، دار المعارف، مصر، ط 1، ج 4، ص 272.

[208] ابن رشيق القيرواني، ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه***، ج 2، ص 115. الحصري القيرواني، ***زهر الآداب وثمر الألباب***، ج 1، ص 152.

بغداد واتصل بعدد من الشعراء؛ مثل دعبل الخزاعي وابن الرومي وعلي بن الجهم وابن المعتز وابن الزيات وابن طاهر[209].

نشأ البحتري فقيراً وتوفي غنياً، وذلك نظراً لكونه مثل باقي شعراء عصره سعى للتكسب بشعره، فقام بمدح الخلفاء والوزراء وغيرهم.

افتتح شعره بالغزل وأدخل به الحكمة والعاطفة والفخر والوصف، كما عمل على تسجيل الأحداث المختلفة من خلال قصائده الشعرية.

كان أول الخلفاء الذين اتصل بهم البحتري بالعراق الخليفة المتوكل[210]، فقام بمرافقته ومدحه في كل مناسبة، وعمد إلى تسجيل مآثره، وذلك على مدى خمسة عشر عاماً قضاها البحتري في رعاية المتوكل. وكان مما قاله في مدحه:

يَا اِبنَ عَمِّ النَبِيِّ حَقّاً وَيا أَزكَى ... قُرَيشٍ نَفساً وَديناً وَعِرضا

بِنتَ بِالفَضلِ وَالعُلُوِّ فَأَصبَحتَ ... سَماءً وَأَصبَحَ الناسُ أَرْضا

وَأَرى المجدَ بَينَ عَارِفَةٍ مِنكَ ... تُرَجّى وَعَزمَةٍ مِنكَ تُمضَى[211]

وحينما قام المتوكل بتولية أولاده الثلاثة ولاية العهد قال:

حَاطَ الرَّعِيَّةَ حِينَ نَاطَ أُمورُها ... بِثَلاثَةٍ بَكَرَوا وُلاةَ عُهودِ

قُدَّامَهُم نُورُ النَّبِيِّ وَخَلفَهُم ... هَديُ الإِمامِ القَائِمِ المَحمُودِ

لَن يَجهَلَ السَّاري المَحَجَّةَ بَعدَما ... رُفِعَت لَنا مِنهُم بُدورُ سُعودِ[212]

---

[209] ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 6، ص 22.

[210] الزركلي، ***الأعلام***، ج 8، ص 121.

[211] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 1216.

[212] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 3، ص 701.

كما اتصل البحتري بمستشار المتوكل الفتح بن خاقان، فمدحه وقال في وصف واقعة لابن خاقان قام فيها بمبارزة أسد:

فَلَم أَرَ ضِرغامَينِ أَصدَقَ مِنكُما ... عِـــراكاً إِذا الهَيّابَةُ النِكــسُ كَـذَّبا

هِزَبرٌ مَشى يَبغي هِزَبراً وَأَغــلَبٌ ... مِنَ القَومِ يَغشى باسِلَ الوَجهِ أَغلَبا

أَدَلَّ بِشَــغبٍ ثُمَّ هالَتهُ صَـولَةٌ ... رَآكَ لَها أَمضَــى جَــنَاناً وَأَشـــغَـبا

فَأَحجَمَ لَمَّا لَم يَجِد فِيكَ مَطمَعاً ... وَأَقدَمَ لَمَّا لَم يَجِد عَنكَ مَهــرَبا[213]

تألّم البحتري كثيراً بمقتل المتوكل وعزف عن قول الشعر فترة من الزمن، ثم ما لبث أن عاد إليه، فقام بمدح المنتصر ثم المستعين والمعتز من بعدهم، ولكن لم تكن له بهم الصلة نفسها التي كانت مع المتوكل.

ومما قاله في مدح المنتصر:

وَبَحــرٌ يَمُــدُّ الرَّاغِبـونَ عُيونَـــهُم ... إِلى ظَاهِرِ المَعرُوفِ فِيهِم جَزيلِهِ

تَرى الأَرضَ تُسقَى غَيثَها بِمُرورِهِ ... عَلَيها وَتُكـــسَى نَبــتَها بِنُخولِهِ

أَتى مِن بِلادِ الغَربِ فِي عَدَدِ النَّقا ... نَقا الرَّملِ مِن فُرسانِهِ وَخُيولِهِ

فَأَسفَرَ وَجــهُ الشَّـــرقِ حَتَّى كَأَنَّما ... تَبَلَّجَ فيهِ البَدرُ بَعــدَ أُفولِهِ[214]

---

[213] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 200.

[214] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 3، ص 1634.

قام البحتري بهجاء المستعين بعد أن نزل عن عرش الخلافة وصعد المعتز ليتولى الخلافة بدلاً منه. وقد عاش البحتري في عصر المعتز في سعة من المال ورفاهية في العيش؛ حيث ورد أنه من كثرة ماله كان يمشي بموكب من غلمانه وخدامه[215].

لقد عرف البحتري بكثرة شعره وغزارته؛ فديوانه المجموع يتألف من خمس مجلدات، وقد قال محققه الأستاذ حسن كامل الصيرفي متحدثا عنه: وقد بلغ عدد قصائد طبعتنا 933 قصيدة ومقطوعة تضم 15950 بيتا من الشعر[216]. وهذا يدل على أن للبحتري شاعرية دفاقة، وقريحة فياضة، ونبع غزير من الأحاسيس ترجمها البحتري في أشعاره. تناول البحتري في شعره المدح والرثاء والغزل والحكمة، وبرع في الوصف حيث تمكّن من أدوات التصوير والوصف، واستعان بالألفاظ المعبّرة والمصورة لكل ما يراه ويحسّه فقال:

هَذي الرِّيَاضُ بَدا لِطَرفِكَ نَورُها ... فَأَرَتكَ أَحسَنَ مِن رِياطِ السُّندُسِ

يَنشُرنَ وَشـــياً مُـــذهَباً وَمُدَبَّجاً ... وَمَـــطَارِفاً نُسِـــجَت لِغَيرِ المَـــلبَسِ

وَأَرَتكَ كـــافوراً وَتِبراً مُشـــــرِقاً ... في قائِـــمِ مِثـــلِ الزُمُـــرُّدِ أَملَسِ

مُتَمايِلَ الأَعناقِ في حَرَكـــاتِـهِ ... كَسَـــلَ النَّعـــيمِ وَفَتـرَةَ المُتَنَفِّسِ

مُتَحَلِّياً مِن كُلِّ حُسنٍ مونِقٍ ... مُتَنَفِّساً بِالمِسكِ أَيَّ تَنَفُّس[217]

وقال في الربيع:

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلقُ يَختَالُ ضَاحِكاً ... مِنَ الحُسنِ حَتَّى كَادَ أَن يَتَكَلَّما

---

[215] ابن رشيق القيرواني، ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه***، ج 2، ص 185.

[216] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 32.

[217] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 1179.

وَقَد نَبَّهَ النَّوروزُ فِي غَلَسِ الدُجى ... أَوائِـــلَ وَردٍ كُنَّ بِالأَمسِ نُوَّما

يُفَـتِّقُهـا بَردُ النَّـدى فَكَـأَنَّـهُ ... يَبُثُّ حَدِيثاً كَانَ أَمـسِ مُكَتَّما

وَمِن شَـــجَرٍ رَدَّ الرَّبـيـعُ لِباسُهُ ... عَلَيهِ كَما نَشَّرتَ وَشياً مُنَمنَما

أَحَلَّ فَأَبدَى لِلعُيونِ بَشاشَةً ... وَكانَ قَذىً لِلعَينِ إِذ كانَ مُحرَما[218]

تأثر البحتري كثيراً بالشعراء الكبار، وعلى رأسهم أبو تمام فأخذ الكثير من أقواله. واعتنى البحتري بانتقاء ألفاظه؛ فتجنب المعقد منها والغريب، وكان من أفضل شعراء عصره في المدح؛ فلذلك حصد الكثير من الجوائز والعطايا من الخلفاء والملوك.

ومن قصائده الشهيرة القصيدة السينية، وهي التي قالها عندما قام بزيارة إيوان كسرى[219]، وتعد هذه القصيدة من أروع ما في الشعر العربي، وتتألف من حوالي ستين بيتاً شعري على قافية السين، استرجع فيها حضارة الفرس في وصفه لهذه الدولة التي كانت قوّة عظيمة ثم اضمحلت فقال فيها:

صُنتُ نَفسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفسِي ... وَتَرَفَّعـــتُ عَن جَدا كُلِّ جِبسِ

وَتَمَاسَكتُ حِينَ زَعزَعَني الدَّهْرُ ... التِمَاساً مـــنِهُ لِتَعـسي وَنَكـسِي

بُلَغٌ مِن صُبابَةِ العَيشِ عِـندي ... طَفَّفَتها الأَيَّـــامُ تَطفِيفَ بَخـــسِ

وَبَعـيدٌ مَـا بَـــينَ وارِدِ رِفَـــهٍ ... عَلَـــلٍ شُـربُـــهُ وَوارِدِ خِـمسِ

وَكَأَنَّ الزَمـــانَ أَصـبَحَ مَحـمولاً ... هَواهُ مَـــعَ الأَخَـسِّ الأَخَـــسِّ

---

[218] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 4، ص 2090.

[219] ابن عساكر، ***تاريخ دمشق***، ج 63، ص 194.

لَو تَراهُ عَلِمتَ أَنَّ اللـيَالي ... جَعَلَت فيهِ مَأتَماً بَـــعـدَ عُـــرسِ

وَهوَ يُنبيكَ عَن عَجائِبِ قَـومٍ ... لا يُشابُ الـبَيانُ فيهِم بِلَـبسِ

وَإِذا ما رَأَيتَ صورَةَ أَنطـاكِيَّة ... اِرتَـعـتَ بَـــينَ رومٍ وَفُـــــرسِ

وَالمَـنايَا مَواثِـلٌ وَأَنـوشَــروان ... يُزجي الصّفوفَ تَحتَ الدِرَفـسِ

في اخضِرارٍ مِنَ اللِباسِ عـلى ... أَصفَرَ يَختالُ في صَبيـغَةِ وَرسِ

وَعِراكُ الرِّجالِ بَينَ يَـــدَيهِ ... في خُفوتٍ مِنهُم وَإِغماضِ جَرسِ

مِن مُشيحٍ يَهوى بِعامِلِ رُمـحٍ ... وَمُليحٍ مِـــنَ السِنانِ بِتُـرسِ[220]

أما عن علاقته وتعلقه ببلده منبج فإن ما أوردناه في الفصل الأول من أشعار له كاف لإثبات وإظهار مدى شغفه بها وحبه لها؛ فقد ذكر منبج مرارا في أشعاره فمن وصف لها، وشوق وحنين إليها، وتحسر وندم على فراقها، ورغبة وجنوح للعودة إليها، وتوجع وتألم من بعده عنها. ويكفي أن نذكر بعض المقطوعات التي لم تذكر في الفصل الأول إظهارا لهذا حيث يقول:

يَا أَبَا مُسلِمٍ تَلَفَّت إِلى الشَّر ... قِ وَأَشرِف لِلبارِقِ اللَمَّاحِ

مُستَطيراً يَقومُ فِي جَانِبِ اللَيـ ... ـلِ عَلى عَرضِهِ مَقامَ الصَّباحِ

وَمُنيفاً يُريكَ مَنبِجَ نَصّاً ... وَهِيَ زَهراءُ مِن جَميعِ النَواحِي

وَرِياضاً بَينَ العُبَيدِيِّ فَالقَصـ ... ـرِ فَأَعْلَى سِمعانَ فَالمُستَراحِ

[220] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 1152.

عَرَصَاتٌ قَد أَبرَحَت حُرَقَ الشَّو ... قِ إِلَيهِنَّ أَيَّما إِبرَاحِ[221]

وأيضا يقول في منبج ويظهر فيها شوقه وحنينه للعودة إليها وقد بلغ الخمسين وبدأ الشيب بالظهور:

وَقَد رَدَّتِ الخَمسُونَ رَدَّ صَريمَةٍ ... إِلى الشَّيبِ مَن وَلَّى عَنِ الشَّيبِ يَهرُبُ

فَقَصرُكَ إِنّي حائِمٌ فَمُرَفرِفٌ ... عَلى خُلُقي أَو ذاهِبٌ حَيثُ أَذهَبُ

نَظَرتُ وَرَأسُ العَينِ مِنّيَ مَشرِقٌ ... صَوامِعُها وَالعاصِمِيَّةُ مَغرِبُ

بِقَنطَرَةِ الخابورِ هَل أَهلُ مَنبِجٍ ... بِمَنبِجَ أَم بادونَ عَنها فَغُيَّبُ[222]

وقال أيضا:

وَالدَّهرُ لَونَانِ فَهَل مُخلِقٌ ... أَبيَضَهُ بَاللُبسِ أَم أَسوَدَه

يَا هَل تُرى مُدنِيَةٌ لِلهَوى ... بِمَنبِجٍ أَيَّامُهُ المُبعَدَة

نَشَدتُ هَذا الدَّهرَ لَمَّا ثَنَى ... يُصلِحُ مِن شَأني الَّذِي أَفسَدَه[223]

وقال أيضا متحسرا لتركه منبج:

عَجِبتُ لِحيرَتي وَضَلالِ رَأيي ... وَكُنتُ أُرادُ لِلرَأيِ الرَّشيدِ

غُلِبتُ عَلى الصَّوابِ وَصَفَّدَتنِي ... ضَرُورَاتُ المَطامِعِ وَالجُدودِ

وَما تَركي لِمَنبِجَ وَاِختِياري ... لِرَأسِ العَينِ فِعلٌ مِن مَريدِ

---

[221] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 458.

[222] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 1، ص 136.

[223] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 662.

وَما الخَابُورُ لِي بَدَلاً رَضِيّاً ... مِنَ السَّاجورِ لَو فُكَّت قُيُودِي[224]

توفي البحتري بمنبج عام 284هـ[225]، بعد أن ترك ديواناً ضخماً، حيث يتألف ديوانه من 933 قصيدة و 15950بيتا. وترك لنا أيضا كتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام، قام فيه باختيار الشعر من ستمئة شاعر، أكثرهم من الجاهليين والمخضرمين، وجعله في ثلاثة أبواب؛ واحد للحماسة والثاني للأدب والثالث للرثاء.

[224] البحتري، ***ديوان البحتري***، ج 2، ص 680.

[225] الزركلي، ***الأعلام***، ج 8، ص 121.

ثانيا: أبو فراس الحمداني

الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان الحمداني، العدوي، التغلبي (320هـ - 357هـ) (932م - 968م)[226].

من أفضل من قام بوصفه الثعالبي في يتيمته حيث قال في أبي فراس: (كَانَ فَرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرما ونبلا ومجدا وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة وشعره مَشْهُور سَائِر بَين الْحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة وَمَعَهُ رواء الطَّبْع وسمة الظّرْف وَعزة الْملك وَلم تَجْتَمِع هَذِه الْخلال قبله إِلَّا فِي شعر عبد الله بن المعتز وَأَبُو فراس يعد أشعر مِنْهُ عِنْد أهل الصَّنْعَة ونقدة الْكَلَام وَكَانَ الصاحب يَقُول بُدِئَ الشّعْر بِملك وَختم بِملك يَعْنِي امْرأ الْقَيْس وَأَبا فراس وَكَانَ المتنبي يشْهد لَهُ بالتقدم والتبريز ويتحامى جَانِبه فَلَا ينبري لمباراته وَلَا يجترئ على مجاراته وَإِنَّمَا لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدَان تهيبا لَهُ وإجلالا لَا إغفالا وإخلالا وَكَانَ سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام عَن سَائِر قومه ويصطنعه لنَفسِهِ ويصطحبه فِي غَزَوَاته ويستخلفه على أَعماله وَأَبُو فراس ينثر الدّرّ الثمين فِي مكاتباته إِيَّاه ويوفيه حق سؤدده وَيجمع بَين أدبي السَّيْف والقلم فِي خدمته[227]).

لم يكن أبو فراس الحمداني شاعراً مجيداً فحسب، وإنما كان فارساً وأميراً وقائداً عسكرياً ناجحاً، كتب من الشعر أرقّه وأصدقه، وحقّق انتصاراتٍ عسكريةٍ جعلته من القادة المقدمين عند سيف الدولة الحمداني. أسر أبو فراس عدة مراتٍ ونجا من الموت، وكتب في الأسر أعذب شعره وأرقه.

---

[226] عمر رضا كحالة، ***معجم المؤلفين***، مكتبة المثنى، بيروت، ج 3، ص 175.

[227] الثعالبي، ***يتيمة الدهر***، ج 1، ص 57-58.

ولد الحارث بن سعيد الملقب بأبي فراس عام 932م[228] في منبج حسب ما ذكره محقق ديوانه، وقيل في الموصل[229]، وعاش طفولته في منبج[230]. والده أبو العلاء سعيد ابن مؤسس أسرة بني حمدان، كان ذا مكانةٍ كبيرة لدى الخليفة العباسي المقتدر، أما والدته فكانت رومية الأصل وقيل بأنها عربية[231].

انتقل أبو فراس إلى حلب وعاش يتيماً في كنف ابن عمه سيف الدولة، الذي كان يعنى بالشعراء والعلماء والأدباء في ذلك الوقت، فحوى بلاطه ـ إلى جانب أبي فراس ـ المتنبي والفارابي وابن خالويه. وتأثر أبو فراس بما لقي من أدبٍ وعلمٍ في بلاط سيف الدولة.

عين سيف الدولة أبا فراس حاكماً على منبج المتاخمة لحدود الإمبراطورية البيزنطية، وبرزت قدراته القيادية في الانتصارات التي حققها على القبائل النزارية في ديار مضر بالصحراء السورية، كما برزت في الحملات التي جردها سيف الدولة على الأراضي البيزنطية.

أسر أبو فراس الحمداني مرتين؛ الأولى كانت عام 959م، وذلك في إحدى معاركه مع الروم في منطقة مغارة كحل، ومن هناك اقتاده الروم إلى منطقة خرشنة بالقرب من الفرات، لكن أسره لم يدم طويلاً إلى أن افتداه سيف الدولة. والمرة الثانية التي أسر فيها أبو فراس كانت عام 962م. وكان ذلك بعد أن جرد الروم حملة كبيرة حاصرت قلعة أبي فراس في منبج وأسر بعدها، وطال أسره في هذه المرة، إذ تأخر سيف الدولة بافتدائه، وبقي في الأسر حوالي خمسة أعوام، كثر خلالها عتابه لابن عمه، كما غلب على قصائده طابع الشوق

---

228 الزركلي، ***الأعلام***، ج 2، ص 155.

229 الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 8.

230 علي الجارم، ***فارس بني حمدان***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص 8.

231 الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 8.

والحنين لوالدته. وفي عام 967م هاجم سيف الدولة البيزنطيين، وتمكن من الانتصار عليهم وتحرير ابن عمه من الأسر[232].

أطلق على القصائد التي كتبها أبو فراس في الأسر اسم الروميات، حيث لم يكتبها إلّا بعد أن طال أسره وتأخر افتداؤه، يغلب عليها التصوير الواقعي للحياة التي عاشها في الأسر، وتمتزج بها مشاعر الشوق والحنين إلى أمه وديارة، وفيها يُكثر من عذل ابن عمه وحثه على الفدية، كما يذكّر أبو فراس بأمجاده وبما قدمه لقومه وما يتسم به من شجاعة وبطولة في ساحات الوغى.

ويقول الدكتور شوقي ضيف: (وللفخر أعلامه يتقدمهم أبو فراس الحمداني بروميّاته التي جسّد فيها الفروسية العربية بكل ما لها من فتوة وصلابة عاتية[233]). بينما يصفها الثعالبي قائلاً: (رمى بها هدف الإحسان، فأصاب شاكلة الصواب، ولعمري إنها لو قرأتها الوحوش لأنست، أو خوطبت بها الخرس نطقت، أو استدعي بها الطير نزلت[234]).

تعد قصيدة أراك عصي الدمع من أشهر ما كتب أبو فراس لابن عمه سيف الدولة في الأسر، إذ تنضح أبياتها بالشوق والفخر، لكن لم يعد للحب تأثيرٌ على قلب أبي فراس، الذي يعاني ألم الأسر، ومن ثم يذكر سيف الدولة ببطولاته وفروسيته في المعارك، كما يفتخر بقومه، وبشجاعة أهله وفعالهم في المعارك، فيقول:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ ... أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيكَ وَلَا أمْرُ؟

بَلَى، أَنَا مُشْـتاقٌ وَعِنـدِيَ لَوْعَةٌ ... وَلَكِنَّ مِثْـلِي لَا يُذاعُ لَـهُ سِـرُّ

---

[232] الزركلي، ***الأعلام***، ج 2، ص 155.

[233] شوقي ضيف، ***تاريخ الأدب العربي***، دار المعارف، مصر، ط 1، ج 6، ص 7.

[234] الثعالبي، ***يتيمة الدهر***، ج 1، ص 112.

إِذَا اللّيلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الهَوَى ... وأذْلَلْتُ دَمْعاً مِن خَلَائقِهِ الكِبْرُ

تَكَادُ تُضِيْءُ النَّـــارُ بَينَ جَوَانِحي ... إِذَا هِيَ أذْكَتْهَا الصَّـبابَةُ والفِكْرُ

مُعَلِّلَتي بالوَصْـلِ، وَالمَــوتُ دُونَهُ ... إِذَا مِـتُّ ظَـمْآناً فَلَا نَزَلَ القَطْرُ

حَفِظْتُ وَضَيَّعْتِ المَوَدَّةَ بيْننا ... وَأَحْسَنُ مِن بَعضِ الوَفَاءِ لَكِ العُذْرُ

وَمَا هَذِهِ الأيَّامُ إِلَّا صَحَائِفٌ ... لأحْرُفِها مِن كَفِّ كَاتِبِها بِشْرُ

سَيَذْكُرُني قَومِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ... وَفِي اللَّيلةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

وَإِنْ مُتُّ فَالإِنْسانُ لَابُدَّ مَيِّتٌ ... وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ، وَانْفَسَحَ العُمْرُ

وَلَو سَدَّ غَيرِي مَا سَدَدْتُ اكْتَفوا ... وَمَا كَانَ يَعْلو التِّبْرُ لَو نَفَقَ الصُّفْرُ

وَنَحْنُ أُنَاسٌ، لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا ... لَنَا الصَّدْرُ دُونَ العَالَمِينَ أَو القَبْرُ

تَهُونُ عَلِينَا فِي المَعَالِي نُفوسُنا ... ومن خَطَبَ الحَسْناءَ لم يُغْلِها المَهْرُ

أعَزُّ بَني الدُّنيا وأعْلى ذَوي العُلا ... وأكْرَمُ مَنْ فَوقَ التُّرابِ ولا فَخْرُ[235]

ويدعو أبو فراس ابن عمه سيف الدولة ليفك أسره، وليحسّ بعنائه وتعبه، ودعوته لم تكن رغبةً بأن يعيش عمراً أمد، ولا ضعفاً أمام قساوة الأسر، ومن ثم ينتقل ليمدح سيف الدولة، فهو الرجل الذي تليق به عظائم الأمور، فيقول:

دَعَوتُكَ لِلجَفنِ القَرِيْحِ المسهَّدِ ... لَديَّ، وَلِلنَّومِ القَلِيلِ المُشرَّدِ

وَمَا ذَاكَ بُخلا بِالحيَاةِ وَإِنَّها ... لَأولُ مَبذُولٍ لِأولِ مُجتَدِ

[235] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 162.

وَلستُ أُبَالِي إِنْ ظَفِرتُ بِمَطلَبٍ ... يَكُونُ رَخِيصًا أَو بِوَسْمٍ مُـزوَّدِ

دَعَوتُكَ وَالأَبوَابُ تَرتَجُ دُونَنَـا ... فَكُن خَيـرَ مَدعُـوٍّ وَأكرَمَ مُنجِدِ

أُنَادِيكَ لَا أَنِي أَخَافُ مِن الرَّدَى ... وَلَا أَرتَجِيْ تَأخِيرَ يَومٍ إِلَى غَـدِ[236]

ثم ينتقل أبو فراس الحمداني ليفتخر بنفسه وبقلة أمثاله من الفرسان الأشداء، فهو يحمل كل سمات الفرسان من طول القامة وعرض المنكبين، كما يتحلى بالشجاعة والوفاء لأبناء قومه، فيقول:

مَتَى تُخلِفُ الأَيَّامُ مِثلِي لَكُـمْ فَتى ... طَوِيلَ نَجَادِ السَّيفِ رَحبَ المقلَّدِ

مَتَى تَلِدُ الأيَّـامُ مِثلِي لَكُـم فَتى ... شَدِيدًا عَلَى البَأسَـاءِ غَيـرَ مُلَهَّـدِ

يُطَاعِنُ عَن أَعْرَاضِكُم بِلِسَـانِهِ ... وَيضرُبُ عَنكُمْ بِالحُسَـامِ المُهنَّدِ

فَمَا كُلُّ مَنْ شَاءَ المَعَالِي يَنَـالُهَـا ... وَلَا كل سيَّارٍ إِلى المَجدِ يَهتَـدِي

وَأنتَ الَّذِي عَرَّفتِني طُـرُقَ العُلَا ... وَأَنتَ الَّـذِي أَهوَيتَنِي كُلَّ مَقصَدِ

فَيَا مُلبِسي النُّعمَى الَّتِي جَلَّ قَدرُهَا ... لَقد أخْلَقَت تلك الثِّيَـابُ فَجَدِّدِ[237]

أصبحت شاعرية أبي فراس في الأسر مرهفة وعالية الإحساس، فكانت كل الأمور تمس عواطفه؛ فينشد الشعر، ويشتكي في إحدى قصائده لحمامةٍ هدلت بالقرب منه فذكرته بأسره وشوقه للتحرر، وأضرمت الشوق بداخله فكادت تسبقه دموعه، لولا تجلده، فيقول:

أَقُولُ وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ ... أَيَا جَارَتَا هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي؟

---

[236] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 96.

[237] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 98.

مَعَاذَ الهَوى ! مَاذُقتُ طَارِقَةَ ... النَّوى وَلَا خَطَرَتْ مِنكِ الهُمُومُ بِبالِ

أَتَحمُلُ مَحزُونَ الفُؤَادِ قَوَادِمٌ ... عَلى غُصنٍ نَائِي المَسَافَةَ عَالِ ؟

أَيَا جَارَتَا، مَا أَنصَفَ الدَّهرُ بَينَنَا! ... تَعَالَيْ أُقَاسِمْكِ الهُمُومَ، تَعَالِي

أَيَضْحَكُ مأسُورٌ، وَتَبكِي طَلِيقَة ... وَيَسكتُ مَحزُونٌ، وَيَندُبُ سَالِ؟

لَقَد كُنتُ أَولَى مِنكِ بِالدَمعِ مُقلَة ... وَلَكِنَّ دَمْعِي فِي الحَوَادِثِ غَالِ![238]

عندما أحس أبو فراس بدنو أجله، وفيه من تعب الأسر ما أعياه، اشتكى لابنته حاله راثياً نفسه، ومعزياً ابنته بقدر الموت المحتوم والمقدر على كل الناس، فقال:

وَيَا أُمّتَا، صَبْرًا فَكُلُّ مُلِمَّةٍ . . . تَجَلَّى عَلَى عِلّاتِها وَتَزولُ

أَبُنَيَّتِي لَا تَحْزَنِي . . . كُلُّ الأَنَامِ إِلَى ذَهَابِ

أَبُنَيَّتِي صَبْرًا جَمِيلًا . . . لِلْجَلِيلِ مِنْ المُصابِ

نُوحِي عَليَّ بِحَسْرَةٍ . . . وَمِن خَلْفِ سِتْرِكِ وَالْحِجَابِ

قَوْلِي إِذَا نَادِيتْنِي . . . وَعَيَيْتِ عَنْ رَدِّ الجَوَابِ

زَيْنُ الشَّبابِ أَبُو فِراسٍ . . . لَمْ يُمَتَّعْ بِالشَّبَابِ[239]

بعد خروج أبي فراس من الأسر عام 967م، ولي حاكماً على حمص، وفي نفس العام توفي ابن عمه سيف الدولة، فبدأت تتداعى دولة الحمدانيين، وبدأ الصراع على السلطة، وكان ابن سيف الدولة أبو المعالي صغيراً بالعمر وهو الوريث الوحيد، فعندما أحس أبو فراس

---

[238] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 282.

[239] الحمداني، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، ص 59.

بمخطط قرغويه "أحد القادة في جيش أبي المعالي"، ثار أبو فراس، ووقعت معركة بينه وبين قرغويه؛ قُتل أبو فراس في تلك المعركة وكان ذلك عام 968م[240].

والناظر في شخصية أبي فراس يتحير ويندهش؛ ولد يتيم عاش في أكناف ابن عمه. برزت شخصيته السياسية والعسكرية والأدبية، فولاه ابن عمه منبج على حدود الروم. قاتل ودافع عن الحمى. أسر مرتين في يد الروم. شاعر صاحب أشعار لا يستهان بمضمونها وحجمها. كل هذه الأشياء في رجل لم يصل العقد الرابع من عمره؛ حيث أنه لما توفي كان عمره 36 سنة!!!.

ترك لنا أبو فراس أشعارا كثيرة، جمعت وحققت وشرحت وطبعت مرات عديدة؛ فخرج لنا ديوان هذا الشاب الفارس الشاعر ليحكي لنا عن شخصية عاشت في الزمن القديم كان لها أثرا واضحا في تاريخ الأمة أدبيا وسياسيا وعسكريا. ولعل أفضل طبعات ديوانه تلك التي حققها الدكتور خليل الدويهي وكانت في 423 صفحة.

أما عن علاقة الحمداني بمنبج فقد ذكرنا في الفصل الأول عدة قصائد له تبين مدى صلته بها وارتباطه فيها.

[240] الزركلي، ***الأعلام***، ج 2، ص 155.

ثالثا: يحيى بن نزار

اسمه يحيى بن نزار بن سعيد أبو الفضل المنبجي المعروف بالتاجر، فاضل، شاعرٌ محسِن[241]، ولد بمنبج في المحرم سنة 486هـ.

وردت له تراجم في كتب التاريخ والتراجم سأوردها من مصادرها بالنص.

منها ما ذكره الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد: (يحيى بن نزار بن سعيد، أبو الفضل التاجر. من أهل منبج. قدم بغداد واستوطنها، وكان من ذوي الثروة الواسعة والحرفة الكاملة. وله شعر حسن لطيف[242]).

ومنها ما ذكره ابن الجوزي: (يحيى بن نزار المنبجي كان فيه فضل وأدب ويقول الشعر، وكان يحضر مجلسي ويدهشه كلامي وجد في أذنه ثقلا فخاف الطرش فاستدعى انسانا من الطرقية فامتص أذنه فخرج شيء من مخه فكان سبب موته. توفي في ذي الحجة ودفن في تربتهم بالوردية[243]).

وذكره صاحب الخريدة ضمن شعرائها حيث قال: (أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المَنْبِجي نزيل بغداد وداره حذا باب النوبي. أحد الباعة والتجار المعروفين المتميزين ببغداد. كان شيخاً ظريفاً مُتودِّدا، سديداً مُسدَّدا، متطرِّفاً من العلوم، حافظاً لكثيرٍ من المنثور والمنظوم، كنت أحاوره ويستنشدني شعري، ويُنشدني ما كان قد استحسنه من الأشعار، وما كنت أظن أن له شعرا، وما أجرى معي لنظمه ذِكرا، حتى طالعتُ تاريخ السمعاني فوجدت

---

[241] محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1993 م، ج 38، ص 155.

[242] الخطيب البغدادي، ***تاريخ بغداد***، ج 21، ص 198.

[243] عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، ***المنتظم في تاريخ الأمم والملوك***، تح: محمد عبد القادر عطا–مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992م، ج 18، ص 138.

فيه أشعارا له. توفي رحمه الله ببغداد وأنا بواسط بعد سنة اثنتين وخمسين وخمسماية وأخوه أبو الغنائم قام مكانه[244]).

أما الحموي فقد ترجم له في معجمه قائلا: (يحيى بن نزار بن سعيد أبو الفضل المنبجي: مولده بمنبج في المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة؛ قدم دمشق واتصل بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ومدحه بقصائد أجاد فيها، ثم رحل إلى بغداد فتوطنها وأقام بها إلى أن توفي في ليلة الجمعة سادس ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة. وكان سبب موته أنه وجد في أذنه ثقلا فاستدعى طبيبا من الطّرقية فامتصّ أذنه ليخرج ما فيها من أذى فخرج شيء من مخه فمات لوقته[245]).

أما ابن خلكان فقد ترجم له أيضا في وفيات الأعيان: (يحيى بن نزار المنبجي أبو الفضل يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي، ذكره الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني في كتاب " الذيل على تاريخ الخطيب " المختص ببغداد، فقال: له شعر مطبوع غير متكلف، وكتب لي أبياتاً من شعره، وسمعت منه، وسألته عن مولده فقال: ولدت في المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة بمنبج. وأورد له مقاطيع أنشده إياها[246]).

أما الترجمة الأخيرة فهي للزركلي حيث قال في المنبجي: (المَنْبِجي (486-554هـ = 1093-1159م) يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي، أبو الفضل: شاعر من أهل منبج (من أعمال حلب) ولد بها. وانتقل إلى دمشق فاتصل بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، ومدحه بقصائد أجاد فيها. ثم رحل إلى بغداد فتوطنها وتوفي بها[247]).

---

[244] محمد بن صفي، عماد الدين الأصبهاني (ت: 597هـ)، ***خريدة القصر وجريدة العصر***، تح: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1959م، ج 2، ص 234-235-236.

[245] الحموي، ***معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب***، ج 6، ص 2832.

[246] ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 6، ص 249.

[247] الزركلي، ***الأعلام***، ج 8، ص 174.

ومن شعره:

لَوْ صَدَّ عَنِّي دَلالًا أَوْ مُعاتَبَةً . . . لَكُنْتُ أَرْجُو تَلافِيهِ وَأَعْتَذِرُ

لَكِنْ مَلَالًا فَمَا أَرْجُو تُعْطُّفَهُ . . . جَبْرُ الزَّجّاجِ عَسيرٌ حِينَ يَنْكَسِرُ[248]

وله:

وَلَيْلَةٌ وَصَلٍ خالَسَتْ غَفْلَةَ الدَّهْرِ . . . فَجاءَتْ بِبَدْرٍ وَهِيَ مُشَرِّفَةُ البَدْرِ

سَميرِي بِهَا غُصْنٌ مِنْ الْبَانِ مَائِدٌ . . . يَرْنَحُهُ سُكرُ الشَّبِيبَةِ لَا الخَمْرِ

أُشاهِدُ فِيهَا طَلْعَةَ القَمَرِ الَّذِي . . . تَبَسَّمَ عَنْ طَلْعٍ وَإِنْ شِئْتَ عَنْ دُرِّ

أَمِنْتُ بِهَا إِتْيانَ وَاشٍ وَحاسِدٍ . . . فَمَا مِنْ رَقيبٍ غَيْرِ أَنْجَمُها الزُّهْرِ

ضَمَمْتُ إِلَى صَدْرِي الحَبيبَ مُعانِقًا . . . وَهَلْ لَكَ يَا قَلْبِي مَحَلٌّ سِوَى صَدْرِي

فَيَا لَيْلَةً أَحْيَتْ فُؤَادِي بِقُرْبِهِ . . . فَأَحْيَيْتُهَا سُكرًا إِلَى مَطْلَعِ الفَجْرِ

وَلَمّا رَأَيْتُ الرُّوحَ فِيهَا مُسَامِرِي . . . تَيَقَّنْتُ حَقًّا أَنَّهَا لَيْلَةُ القَدْرِ[249]

---

[248] ابن خلكان، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، ج 6، ص 253.

[249] الحموي، ***معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب***، ج 6، ص 2832.

المطلب الثاني: الشعراء المغمورون

أولا: أبو نصر المنبجي

ترجم له الذهبي في تاريخه حيث قال عنه: (سعد الله بن أَبِي الفتح بن يَعْلَى 651هـ سمع بَهَرَاة من: أَبِي روح عَبْد المعزْ. ودخل خُوارزْم وأقام بها مدّة. وكان أديبا شاعراً فاضلاً صوفيّا. روى عَنْهُ: الشَّيْخ زين الدّين الفارقيّ، والحافظ عَبْد المؤمن الدّمياطيّ، ومحمد بن مُحَمَّد الكنجيّ، والعماد بن البالِسي، وجماعة[250]).

وترجم له أيضا ابن العديم حيث قال عنه: (سعد الله بن أبي الفتح بن معالي بن الحسين: أبو الفتح الطائي المنبجي، من أهل منبج وسكن حلب وصحب بها الشيخ أبا الحسن علي بن يوسف بن السكاك الفاسي مدة وانتفع بصحبته، ثم سافر من حلب الى خراسان واشتغل بشيء من علوم الأوائل، وخالط بها من أفسد حاله، ثم وصل الينا الى حلب وقد عاد إلى الطريقة المثلى من الصلاح والخير، فأقام عندنا بحلب مدة، ثم توجه الى دمشق، وذهب إلى الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وخالطه وعمل فيه أشعارا كثيرة، وعمل كتابا يتضمن فصولا من كلامه في الحقيقة والحكمة، كتبته له بخطي وقرأته عليه، وأهداه الى الملك الاشرف، وعاد بعد توجهه الى دمشق، الى حلب سنة سبع وعشرين وستمائة ثم عاد الى دمشق وانقطع في المسجد الجامع، يعبد الله في المنارة الشرقية، الى أن احترقت، فانتقل إلى مقصورة الحنفية التي في شمالي الجامع وشرقيه، فأقام فيها يعبد الله تعالى الى أن مات. اجتمعت به بحلب وبدمشق، وأنشدني من شعره كثيرا، وسمعت منه فصولا من كلامه، وكان سمع بهراة أبا روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهروي، وحدث عنه بدمشق بأجزاء من مسند أبي يعلى، وكان فاضلا عالما حسن

---

[250] الذهبي، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، ج 14، ص 707.

الاخلاق قال لي: لما سافرت الى العجم خرجت عن الدين بالكلية، وكنت قد اشتغلت بشيء من علوم الأوائل، ثم منّ الله عليّ بعد ذلك، ببركة صحبتي الشيخ أبا الحسن الفاسي رحمه الله فعدت الى الاسلام ولله الحمد[251]).

وترجم له أيضا ابن الصابوني وقال عنه: (الشيخ الصالح أبي نصر سعد الله بن أبي الفتح بن معالي بن الحسين الطائي المنبجي: سافر إلى خراسان ودخل خوارزم وأقام بها مدة وسمع من أبي روح عبد المعز محمد بن أبي الفضل الهروي البزاز، وحدث عنه بدمشق وكان له شعر حسن. رأيته وسمعت منه وكتبت عنه شيئا من نظمه. توفي آخر نهار يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة بدمشق ودفن يوم الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة بمقبرة الصوفية. ومولده تقريبا في سنة ثمان وستين وخمسمائة[252]).

من شعره:

ذَكِّرِ النَّفْسَ بِالْمَعادِ وَخُذْهَا . . . فِي طَرِيقٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ تَذْكَرُ

لَا تُرِيهَا شَيْئًا سِوَى اللَّهِ فِيهَا . . . إِنَّهَا إِنْ رَأَتْ سِوَى اللَّهِ تَحْمَرُ

لَا يَغُرَّنَّكَ كَثْرَةُ الضَّعْفِ مِنْهَا . . . فِي ثَلاثٍ سَبْعُونَ فِي الضَّعْفِ أَكْثَرُ

إِنَّمَا الشَّيْخُ والصَّبِيُّ إِنَاءٌ فِيهِ . . . مَاءٌ صَافٍ وَماءٌ مُكَدَّرُ

غَيَّرَ الشَّيْخَ صُورَةُ الحَقِّ فِيهِ . . . وَهِيَ عِنْدَ الصَّبِيِّ لَمْ تَتَغَيَّرُ

هَوِّنِ الأَمْرَ وَابْسُطِ الْكَفَّ بَسْطًا . . . وَسَطًا صَالِحًا وَخُذْ مَا تَيَسَّرُ

---

[251] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 9، ص 4239.

[252] ابن الصابوني، ***تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب***، ص 123.

وَاشْكُرِ اللَّهَ فِي الْقَلِيلِ تَكُنْ فِي . . . عَقِبِ الأَمْرِ بِالْكَثِيرِ مُظَفَّرُ[253]

ومن شعره:

حَاجَتِي حَاجَةُ المُحِبِّ وَإِنِّي . . . مِنْكَ رَاضٍ بِنَظْرَةٍ أَوْ سَلامِ

فَإِذَا جُدْتَ بِالْكَلَامِ فَمَنْ لِي . . . بِكَلَامٍ إِنْ جُدَتْ لِي بِالْكَلَامِ

أَرْتَضِي بِالْقَلِيلِ كُلَّ قَلِيلٍ . . . هَذِهِ حالَتِي وَهَذَا مَقَامِي[254]

[253] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 9، ص 4240.

[254] ابن الصابوني، ***تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب***، ص 123.

ثانيا: حجوة بن مدرك الغساني

الكوفي ثم المنبجي، أصله من الكوفة ونزل منبج، ثم انتقل إلى دمشق فسكنها. له أشعار، وروى عن هشام بن عروة وسفيان الثوري وسليمان الأعمش وإسماعيل بن أبي خالد وفضيل بن غزوان ويونس بن أبي اسحاق وعبد الملك بن أبي سليمان وموسى بن عبيدة الربذي وسعيد بن عبد الرحمن أخي أبي حرّة[255]. وكان من الشعراء المحسنين[256]. توفي سنة 190هـ.

قال الحافظ أبو القاسم: قرأت في كتاب أبي الحسين الرازي فيما ذكره عن شيوخه قال: وكان مما قيل في تلك العصبية من الأشعار ما أفادنيه بعض أهل دمشق عن أبيه عن جده وأهل بيته من المرثيين، قال: قال حجوة بن مدرك الغساني يرثي أسعد الغساني:

أَلَا هَبِلَتْ أَمُّ الفَتَى أَسْعَدُ النَّدَى . . . لَقَدْ ثَكِلَتْ لَيْثًا شَدِيدَ الشَّكائِمِ

أَتَتْ بِفَتًى رَحْوِ الحَمائِلِ صَارِمٍ . . . إِذَا حَامَ بَانَ الْمَوْتُ فَوْقَ الْجَماجِمِ

سَأَبْكَي فَتى غَسَّانَ أَسْعَدَ مَا دَعَتْ . . . عَلَى فَنَنِ الأَشْجارِ وَرَقُ الحَمائِمِ

وَأَبْكِيهِ إِمَّا عِشْتُ بِالْبِيضِ وَالْقِنا . . . وَفِتْيانُ صِدْقٍ كَاللُّيُوثِ الضَّراغِمِ

يَخُوضُونَ نَحْوَ الْمَوْتِ خَوْضًا . . . كَأَنَّهُمْ مَصاعِبُ تَحْتَ الدَّامِيَاتِ المَناسِمِ

بِأَسْيافِهِمْ زَارَ الحُتوفَ ابْنُ كَامِلٍ . . . وَمِن بَعْدِهِ مَثْوَاهُ زُرُّ بْنُ حَاتِمِ[257]

---

[255] ابن عساكر، ***تاريخ دمشق***، ج 12، ص 1224.

[256] الذهبي، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، ج 12، ص 112.

[257] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 5، ص 2139.

ثالثا: رئيس بن عبد الله النميري

أبو شهاب كان بمنبج، وأنشد بها أبياتا كتبها عنه ساعد بن فضائل بن ساعد أبو محمد المنبجي، ورواها عنه.

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال: أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني قال: أنشدني ساعد بن فضائل المنبجي- إملاءً من حفظه- بسمرقند قال: أنشدني أبو شهاب رئيس بن عبد الله النميري بمنبج لبعضهم:

قَدْ لَزِمَ العالَمُ ضِدَّ الصَّوابِ . . . وَانْتَدَبوا لِلظُّلْمِ مِنْ كُلِّ بَابِ

فَأَنْتَ إِنْ أَحْسَنْتَ ظَنًّا بِهِمْ . . . أَصْبَحْتَ كَالنَّعْجَةِ بَيْنَ الذِّئابِ

وَإِنْ ظَنَنْتَ الخَيْرَ مِنْهُمْ فَقَدْ . . . طَلَبْتَ مَاءً مِنْ لميْعِ السَّرابِ[258]

رابعا: الشغواني المنبجي

شاعر من أهل منبج، صحب أبا عبادة البحتري، وروى عنه شعره وجمعه، روى عنه ابن العصب محمد بن عثمان المنبجي المؤدب النحوي[259].

[258] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 8، ص 3727.

[259] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 10، ص 4763.

خامسا: أبو بكر بن عثمان قجمك

السلوري المنبجي الحنفي، فقيه حنفي المذهب عارف بالفقه، صالح ورع تركماني من خيل سلور، من تركمان بلد منبج، سكنها واشتغل بالفقه وسمع الحديث بها من القاضي رافع الفايوي، وروى لنا عنه بحلب أمالي الإمام برهان الدين البلخي في سنة ثمان وعشرين وستمئة في جمادى الأولى، وسألته في هذا التاريخ عن مولده فقال: لي ثمانية وستون سنة تقديرا، وكان له شعر متوسط، وكان مشغوفا به وبنثره أيضا يعرضهما على الناس مستحسنا لهما.

أخبرنا بدر الدين أبو بكر بن عثمان بن قجمك السلوري الفقيه بحلب قال: أخبرنا القاضي. أنشدني الفقيه أبو بكر بن عثمان المنبحي لنفسه بحلب:

إِذَا اخْتَرْتَ أَنْ تَحْيَا فَمُتْ عَنْ عَوائِقَ . . . مِنْ الحِسِّ خَمْسٌ ثُمَّ عَنْ مُدْرَكاتِها

وَقابِل بِوَجْهِ العَقْلِ عالَمَ قُدْسِهِ . . . فَذَاكَ حَياةُ النَّفْسِ عِنْدَ مَمَاتِهَا [260]

توفي الفقيه بدر الدين أبو بكر بن عثمان بمنبج.

[260] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 10، ص 4346.

سادسا: أبو الغوث بن محجز المنبجي

قال عنه ابن العديم: (شاعر مجيد، قيل إنه انتقل من منبج إلى حلب وسكنها، وإن درب أبي محجّز بالقطيعة ينسب إليه، وله فيه مسجد حسن، كان يقرئ فيه القرآن. وعندي في ذلك شك، لأن الدرب ينسب إلى أبي محجز لا إلى ابن محجز.

وذكره أبو منصور الثعالبي في تتمة اليتيمة، وذكر له من الشعر قوله في غلام التحى:

فِي سَبيلِ اللَّهِ خَدًّا . . . كَانَ فِي المَلْمَسِ خَزا

خَانَهُ الشِّعْرُ فَأَضْحَى . . . يوَسِّعُ اللاثِمَ وَخْزًا

قَالَ وَلَهُ:

أَيُّهَا الظَّبْيُ الَّذِي . . . أَعْرَضَ عَنِّي وَجَفاني

فَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ هَمِّي . . . حِينَ أَخْلو بِالْأَمَانِي

ابْتِلاكَ اللَّهِ مِنِّي . . . بِالَّذي مِنْكَ ابْتِلانِي

ساعَةٌ حَتَّى تَرَى كَيْفَ . . . الهَوَى ثُمَّ كَفَانِي)[261]

قال: وكان يحفظ شعر البحتري. وكان أحضر الناس جوابا، وكان في عينيه سوء، فقال له صاحب منبج وقد رمدت عينه مرة: يا أبا الغوث قد اشرفت على العمى فماذا تعمل إذا عميت؟ فقال: أقرأ على قبرك أيها الأمير.

[261] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 10، ص 4556.

سابعا: أبو القاسم بن عبدان

شاعر منبجي من أهل منبج[262]، روى عنه أبو الحسن الشمشاطي في كتاب الديرة، فقال: دير قزمان شمالي حلب ما بين جبرين وتل خالد، دير حسن. أنشدني أبو القاسم بن عبدان الشاعر من أهل منبج:

سَراةُ بَني مَعْنٍ وَمَفْزَعُ مالِكٍ . . . وَذُرْوَةُ ذَوْدانِ وَمُعْتَمَدُ الضَّيْفِ

رَأَيْتُهُمْ والنَّجْمُ قَدْ بَاحَ نَوَرُهُ . . . وَثَقُلَت الأَيْدِي عَلَى الدِّرْهَمِ الزَّيْفِ

فَمَا قَرَعَتْ أَلْفاظُهُمْ بَابَ عِلَّةٍ . . . وَلَا اسْتَعْمَلُوا القَوْلَ المُقيمَ عَلَى كَيْفِ[263]

[262] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 10، ص 4588.

[263] إحسان عباس، ***شذرات من كتب مفقودة في التاريخ***، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1988م، ج 2، ص 385.

ثامنا: إسرائيل بن مقدار

منبجي المولد، إربلي المنشأ، كان جنديا وله شعر حسن:

لَا تَحْسبُوا مَرَضي عَنْ عِلَّةٍ عَرَضَتْ . . . لَكِنَّهُ حُبُّ مَنْ فِي طَرفِهِ حِورُ

إِنْ مَاسَ غُصْنُ أَراكٍ أَوْ بَدَا قَمَرٌ . . . فَمَا الدَّواءُ وَدَائِي الغُصْنُ والْقَمَرُ

ومن شعره:

مَوْلايَ إِنَّ النَّصْرَ أَصْبَحَ طَائِعًا . . . لَكَ والسَّعادَةُ حَيْثُ سِرْتَ تَسيرُ

انْهَضْ إِلَى الطَّاغِي وَبَدِّدَ جَمْعَهُ . . . فَالْأَمْرُ سَهْلٌ والْعَدوُّ حَقيرُ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ العَبْدَ لَيْسَ لِصَحْبِهِ . . . زَادٌ وَلَا لِلصَّافِنَاتِ شَعيرُ[264]

[264] ابن العديم، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، ج 4، ص 1558.

تاسعا: الناصح المنبجي

قال عنه ابن الصابوني: (الفاضل أبي منصور المظفر بن محمد بن المظفر بن الحسين المنبجي وينعت بالناصح. توفي بعد 680هـ[265]. وهو أديب كامل، يكتب خطا حسنا، وينظم شعرا جيدا. اجتمعت به في القاهرة وكتبت عنه قطعا من نظمه، وسافر إلى الإسكندرية وأقام بها مدة ثم فارقها مسافرا إلى بلاد اليمن وهو يومئذ مقيم بها، وأنشدني لنفسه بالقاهرة:

أَحْبابُنا أَنَا مِنْ أَيَّامِ هَجْرِكُمُ . . . حُرِّمْتُ نَوْمِي وَمَا حُلِّلتُ مِنْ جَلَدَي

وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَسْبَابًا لِبَيْنِكُمُ . . . وَقَطُّ مَا دَارَ هَذَا البَيْنُ فِي خَلَدَي

غَرِبْتُمْ فِي تَجافيكُمْ عَلَيَّ وَقَدْ . . . غَرَبْتمُونِي بِهَذَا الهَجْرِ فِي بَلَدَي[266])

وترجم له الجندي في طبقاته حيث قال: (أما المنبجي فَكَانَ يلقب بالناصح وَكَانَت كِتَابَته رُبمَا تقدم على غَيرهَا وَله شعر رائق وديوان صَغِير غالبه فِي ذكر منبج بَلَده ورسوها وَكَانَت لَهُ مسموعات اخذها عَنهُ عدَّة من مدرسي تعز كشيخنا ابْن الصفي وَغَيره[267])

---

[265] الزركلي، ***الأعلام***، ج 7، ص 257.

[266] محمد بن علي بن محمود، ابن الصابوني (ت 680هـ)، ***تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب***، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 123.

[267] محمد بن يوسف بن يعقوب، بهاء الدين الجَندي (ت: 732هـ)، ***السلوك في طبقات العلماء والملوك***، تح: محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط 2، 1995م، ج 2، ص 568.

عاشرا: بدر الدين المنبجي

ترجم له الصفدي حيث قال: (الْبَدْر المنبجي مُحَمَّد بن عمر بن أَحْمد بن الْمثنى الشَّافِعِي الشَّاعِر. ولد بمنبج قبل الْخمسين وَسمع من ابْن عبد الدَّائِم بِدِمَشْق وَمن النجيب بِمصْر وَتخرج فِي الْأَدَب بمجد الدّين ابْن الظهير الإربلي وَتُوفِّي بِمصْر سنة ثَلَاث وَعشْرين وَسبع مائَة[268]).

وترجم له المقريزي في المقفى حيث قال: (بدر الدين، المنبجيّ، الشافعيّ. مولده سنة تسع وأربعين وستّمائة تخمينا. وتفقّه وبرع في علم الأدب ونظم الشعر. وسمع من أبي العبّاس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بدمشق. ومن النجيب أبي الفرج الحرّانيّ بالقاهرة. وصحب الأديب أبا عبد الله محمد بن أحمد بن أبي شاكر الإربليّ وأخذ عنه الأدب. ودخل إلى اليمن ومدح ملوكها ونال مالا سنيّا. وحدّث. توفّي في ثاني عشر شوّال سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر[269]).

من شعره:

وَمُهَفْهَفٌ نَادِيتُهُ وَمُحَاجِرِي ... تَذرِي دُمُوعاً كالجُمَانِ مُبَددا

يَا من أَرَاهُ عَلَى المِلَاح مُؤمَراً ... بِاللَّهِ قُل لِي هَل أَرَاك مُجَردا[270]

وله أيضا:

وَبدر دجىً وافى إِلَيّ بوردةٍ ... وَمَا حَان مِن وَردِ الرَّبِيعِ أَوَانَه

فَقَالَ وَقَد أَبدِيتَ مِنْهُ تَعَجّبا ... رُوَيدَكَ لَا تَعجَب فَعِندِي بَيَانه[271]

---

[268] الصفدي، ***الوافي بالوفيات***، ج 9، ص 200.

[269] أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت: 845هـ)، ***المقفى الكبير***، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 2، 2006م، ج 6، ص 216.

[270] خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)، ***أعيان العصر وأعوان النصر***، تح: علي أبو زيد ومجموعة من المحققين، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1998م، ج 4، ص 680.

[271] الصفدي، ***أعيان العصر وأعوان النصر***، ج 4، ص 680.

وقال أيضا:

وَكَأنَّ زَهرَ اللوزِ صبٌّ عَاشِقٌ ... قَد هَزَّه شُوقٌ إِلَى أَحبَابِه

وَأَظنُّهُ مِن هَولِ يَوْمِ فِرَاقِهِم ... وَبعادِهِم قَد شَابَ قَبلَ شَبَابِه[272]

وله أيضا:

لَو لَم أكُن فِي الحبِّ ذَا ... جِسمٍ عَلَى البَلوَى صَبُور

ما سِرتُ فِي لَيلِ الشُّعُو ... رِ إِلى مُواصلة الخصور[273]

[272] الصفدي، ***أعيان العصر وأعوان النصر***، ج 4، ص 680.

[273] المقريزي، ***المقفى الكبير***، ج 6، ص 216.

المبحث الثاني: شعراء العصر الحديث

المطلب الأول: عمر أبو ريشة

ولد الشاعر عمر شافع مصطفى أبو ريشة في مدينة منبج سنة 1910م[274]، حيث كان أبوه شافع قائماً فيها ثم في حلب من قبل الدولة العثمانية؛ فوالده رجل إدارة وسياسة، وكان شاعرا صوفيّا[275]، أما أمّه فكانت من بيت صلاح وتقى، حيث إنّ جدّه من أمه هو الشيخ إبراهيم اليشرطي بن المرشد علي نور الدين اليشرطي شيخ الطريقة الشاذلية في فلسطين[276]. وبعد ولادته اضطرت أمّه أن تذهب إلى أهلها في عكا بسبب ظروف عمل والده وانهيار الدولة العثمانية؛ فترعرع عند جده على الأدب والدين، وكان كثيرا ما يردّد أشعار وأناشيد الصوفية؛ وكان لهذا أثر واضح على أسلوبه الشعري فيما بعد. وكان أخوه وأخته ينظمان الشعر، وكذلك أمه كانت تحفظ الأشعار والقصائد الكثيرة لكبار أهل التصوف[277]. درس المرحلة الابتدائية في حلب ثم انتقل إلى بيروت لدراسة الثانوية في الجامعة الأمريكية، وبعد أن أتمّها أرسله والده إلى انكلترا لدرسة الكيمياء الصناعية؛ فأتم دراسته وحصل على درجة الدكتوراة في العلوم. ولكن كانت دراسته تلك بعيدة أشد البعد عن ميوله ورغباته، ومع هذا فقد أتمها ولم يتخذها صناعة.[278] ورغم دراسته للعلوم إلّا أنه لم يبتعِد عن الأدب والشعر؛ بل على العكس أتاحت له دراسته في انكلترا فرصة النظر في الأدب الإنكليزي

---

[274] سامي الكيالي، ***الأدب العربي المعاصر في سورية***، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 2، 1968م، ص 368. أنور الجندي، ***الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه***، مكتبة المعارف، القاهرة، ص 395. نسيب نشاوي، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 291.

[275] الكيالي، ***الأدب العربي المعاصر في سورية***، ص 368.

[276] الكيالي، ***الأدب العربي المعاصر في سورية***، ص 368.

[277] الكيالي، ***الأدب العربي المعاصر في سورية***، ص 368.

[278] الجندي، ***الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه***، ص 395.

والتجول في أوروبا والتعرف على آدابها وحضارتها. وعند عودته من أوروبا رفض العمل في تخصصه وتوجّه إلى ما تميل إليه نفسه ورغباته وشعوره، وبدأ صيته بالشيوع في مجال الأدب والشعر،[279] فما ترك نظمه منذ أن كان شابا. وبعد هذا بدأ بالدخول في معترك السياسة، ولكنها ما شغلته عن الأدب والشعر بل زادت من معارفه وخبراته وفتحت له آفاقا نحو العالم؛ لأن اشتغاله فيها كان دبلوماسيا حيث كان سفيرا للحضارات يحتويها ويجمعها ويوفق بينها؛ فهو ليس أديبا وشاعرا سوريا أو عربيا فقط، وإنما تجاوز ذلك بسبب المناصب التي شغلها، ولأنه أتقن ثمان لغات، وكتب بها في الأدب والشعر. ومن المناصب والوظائف التي شغلها في حياته حسب ترتيبها التاريخي:

- عمل مديراً لدار الكتب الوطنية في حلب.
- وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام 1948م.
- وكذلك كان عضواً في الأكاديمية البرازيلية للآداب.
- وعضواً في المجمع الهندي للثقافة العالمية.
- وعمل ملحقاً ثقافياً لسورية في الجامعة العربية.
- ووزيرا مفوضاً لسورية في البرازيل ما بين 1949م - 1953م.
- وزيراً مفوضاً لسورية في الأرجنتين وتشيلي سنة 1953م - 1954م.
- وسفيراً لسوريا في الهند بين عامي 1954م - 1958م.
- وسفيراً للجمهورية العربية المتحدة في الهند سنة 1958م - 1959م.

[279] نشاوي، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ص 291.

- وسفيراً للجمهورية العربية المتحدة في النمسا بين عامي 1959م - 1961م.

- وسفيراً لسوريا في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1961م - 1963م.

- وأخيراً عمل سفيراً لسوريا في الهند بين عامي 1964م - 1970م.[280]

هذا هو عمر أبو ريشة ابن مدينة منبج، الصوفي المتديّن، والشاعر الأديب، وهو عالم بالكيمياء، وسياسيٌّ دبلوماسيّ.

كانت أشعاره صافية مليئة بالحبّ والجمال لتشرّبه روح التصوف عند جدّه في صغره. وقد كانت أشعاره وليدة الفكرة، فهو لا يؤمن بالوحي أو الإلهام الشعري، وإنما الشعر عنده وليد فكرة ممزوجة بالعواطف والشعور، فشعره نتاج امتزاجٍ بين العقل والروح[281].

آمن بقضايا الأمة وعاش نكباتها المتتالية، حيث كانت الفترة التي عاشها قد جرت فيها أحداث كثيرة؛ فمن انهيار للدولة العثمانية وسقوط للخلافة إلى الحرب العالمية الأولى فالثانية، ثم دخول فرنسا وانكلترا وحلفائهما واحتلالهم للبلاد العربية وتقسيمهم لها، ثم الاستقلال عنها وحصول الوحدة بين سوريا ومصر ثم الانفصال، بالإضافة للنكبة الفلسطينية فالنكسة التي وقعت واحتلال الصهاينة لها.

لقد عاصر عمر كل هذه الأحداث وعاش ما فيها من آلام ومحن، فتجسّدت في أفكاره وصاغها في أشعاره.

توفي عمر أبو ريشة سنة 1990م تاركاً خلفه قصة رجلٍ لو كتبت ودرست لزادت صفحاتها على المئات، وأشعاراً احتوات عليها دواوينه؛ وكان منها ما لم ينشر ولم يطبع بعد،

---

[280] نشاوي، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ص 291.

[281] من لقاء تلفزيونيا معه منشور على الشبكة العنكبوتية.

بالإضافة إلى ديوان شعر باللغة الإنكليزية، وملاحم كتبها بالعربية زاد عدد أبيات بعضها على اثني عشر ألف (12000) بيتا[282].

من أشعاره:

أُمَّتِي هَلْ لَكِ بَيْنَ الأُمَمِ ... مِنْبَرٌ لِلسَّيفِ أَوْ لِلْقَلَمِ

أَتَلَقَّاكِ وَطَرْفِي مُطْرِقٌ . . . خَجَلًا مِنْ أَمْسِكِ المُنْصَرِمِ

أَيْنَ دُنْيَاكِ اَلَّتِي أَوْحَتْ إِلَى . . . وَتَرَى كُلَّ يَتِيمٍ النَّغَمِ

أُمَّتِي كَمْ غُصَّةٌ داميَةٌ . . . خَنَقَتْ نَجْوَى عُلاكَ فِي فَمِي

أَلإِسْرَائِيلُ تَعْلو رايَةَ ... فِي حِمَى المَهْدِ وَظِلّ الحَرَمِ !

كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الذُّلِّ وَلَمْ ... تَنْفُضِي عَنْكِ غُبارَ التُّهَمِ ؟

رُبَّ وَامُعْتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ ... مِلْءَ أَفْواهِ الصَّبَايَا اليُتُمِ

لَامَسَتْ أَسْماعَهُمْ لَكِنَّها ... لَمْ تُلَامِسْ نَخْوَةَ المُعْتَصِمِ[283]

وله أيضا في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

أَيُّ نَجْوَى مُخَضَّلَةَ اَلْنَعْماءِ . . . رَدَّدَتْها حَناجِرُ الصَّحْرَاءِ

سَمِعَتْها قُرَيْشُ فَانَتَفَضَتْ غَضْبَى . . . وَضَجَّتْ مَشْبوبَةَ الأَهْواءِ

وَمَشَتْ فِي حُمَّى الضَّلالِ إِلَى . . . الكَعْبَةِ مَشْيَ الطَرِيدَةِ اَلْبَلْهاءِ

---

[282] الجندي، ***الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه***، ص 394.

[283] عمر أبو ريشة، ***ديوان عمر أبو ريشة***، دار العودة، بيروت، 1998م، ج 1، ص 7-11.

وَارْتَمَتْ خَشْعَةٌ عَلَى اللاّتِ . . . وَالعُزَّى وَهَزَّتْ رُكْنيهما بِالدُّعَاءِ

وَبَدَتْ تُنْحَرُ القَرابينِ نَحْرًا . . . فِي هَوَى كُلِّ دُمْيَةٍ صَمّاءِ

وانْثَنَتْ تَضْرِبُ الرِّمَالَ احْتيالًا . . . بِخُطًى جاهِلِيَّةٍ عَمْياءِ

عَرْبِدِي يَا قُرَيْشُ وَانْغَمَسِي مَا . . . شِئْتِ فِي حَمْأَةِ المُنَى النَّكْراءِ

لَنْ تُزيلي مَا خَطَّهُ اللَّهُ لِلْأَرْضِ . . . وَمَا صَاغَهُ لَهَا مِنْ هَناءِ

شَاءَ أَنْ يُنْبِتَ النُّبوَّةَ فِي القَفْرِ . . . وَيُلْقِي بِالْوَحْيِ مِنْ سَيْنَاءِ

فَسَلِي الرُّبْعَ مَا لِغُرْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ . . . تُطْوَى جِراحُها فِي العَزاءِ

مَا لِأَقْيالِ هاشِمٍ يَخْلَعُ البَشَرُ . . . عَلَيْهَا مَطارِفَ الحُيَلاءِ

أُنْظُرْيها حَوْلَ اليَتيمِ فِرَاشًا . . . هَزْجًا حَوْلَ دافِقِ اَللَّالَاءِ

وَأَبُو طالِبٍ عَلَى مَذْبَحِ الأَصْنامِ . . . يَزْجِي لَهُ ضَحَايَا الفِداءِ[284]

وله أيضا:

مُعاذٌ خِلالَ الكِبْرِ مَا كُنْتَ حاقِدًا . . . وَلَا غَاضِبًا إِنْ عَابَ مَسْراي عائِبُ

فَكَمْ جَبَلٌ يَعْفو عَلَى النَّجْمِ خَدُّهِ . . . وَأَذْيالُهُ لِلسَّائِمَاتِ مَلاعِبُ

نَظَرْتُ إِلَى الدُّنْيَا فَلَمْ أُلْفِ عِنْدَهَا . . . كَبِيرًا أُدارِي أَوْ صَغِيرًا أُعاتِبُ

وَمَا هَانَ لِي فِي مَوْقِفِ العِزِّ مَوْقِفٌ . . . وَلَا لَانَ لِي فِي جانِبِ الحَقِّ جانِبُ

[284] أبو ريشة، ***ديوان عمر أبو ريشة***، ج 1، ص 495-501.

فَيَا غُرْبَةَ الأَحْرارِ مَا أَطْوَلَ الْسَّرَى . . . وَمِلْءُ غَياباتِ الدُّروبِ غَياهِبُ[285]

[285] أبو ريشة، ***ديوان عمر أبو ريشة***، ج 1، ص 190-191.

المطلب الثاني: يوسف عبيد

ولد الشيخ الشاعر يوسف عبيد في قرية "عين النخيل" الواقعة على ضفاف الفرات، والتي تبعد عن مدينة منبج مسافة 4 كم، وذلك في خريف عام 1931م، وينتمي إلى البو سلطان، بطن من بطون "البقارة" القبيلة العربية المشهورة، وفي قريته نشأ وترعرع.

تعلم القرآن الكريم في الكتاب، وهو في السابعة من عمره، وذلك في عام 1939م.

وقد فقد بصره في خريف عام 1942م على إثر إصابته بالجدري، وكان سنه وقتذاك إحدى عشرة سنة، فعوضه الله عن فقد بصره، بحافظة عجيبة، إذ أنه حفظ كتاب الله عن ظهر قلب، في مدة لا تزيد عن أربعة أشهر، موزعة على ثلاث سنوات، بين عام 1947م/ 1950م.

وكان يحفظ في الأسبوع الواحد، قرابة جزأين من القرآن الكريم، فأتم حفظ القرآن، وكان عمره لم يتجاوز الثامنة عشرة سنة.

وكان شيخه في تحفيظ القرآن الكريم، وقواعد اللغة العربية، هو الشيخ فخر الدين صادق الكردي.

كما حفظ بعض القصائد والأناشيد، لأمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، وشاعر الشام شفيق جبري وغيرهم، رحمهم الله تعالى.

لم يدرس شاعرنا المرحلة الابتدائية، بل كان يجتمع ببعض زملائه الذين كانوا يدرسون الابتدائية في منبج، ويستفيد منهم، وكان قد طلب من شيخه الذي أقرأه القرآن الكريم، أن يقرأ عليه كتاب القواعد، الذي كان مقرراً آنذاك في الصف الرابع الابتدائي، فحفظ قواعد اللغة العربية، واستفاد منها سنين طويلة.

وبدأ دراسته للعلوم الشرعية والعربية، عند مفتي منبج الشيخ الفقيه جمعة بن العالم الكبير مصطفى أبو زلام، في صيف عام 1953م في حجرته، في الجامع الكبير بمنبج.

ثم دخل المدرسة الشعبانية بحلب، بواسطة الشيخ العلامة جمعة أبو زلام، مفتي منبج، وكان سنه إذ ذاك اثنان وعشرون عاماً .. وقد وجد متاعب كثيرة، حتى قُبل في تلك المدرسة، وذلك نظراً لكبر سنه، وذهاب بصره، وقد اعتبروه أنه يحمل الابتدائية، ووضعوه في الصف الثاني، ولم يدرس الصف الأول، نظراً لقوته في قواعد اللغة العربية.

وتلقى العلوم الشرعية والعربية، على يد الشيخ العلامة عبد الله سراج الدين، رحمه الله تعالى، وعلماء حلب في المدرسة الشعبانية، لمدة خمس سنوات 1953م/ 1959م.

ثم التحق بكلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عن طريق الشيخ محمد نسيب الرفاعي، وكان اسمها آنذاك "الإدارة العامة للمعاهد والكليات"، وتخرج فيها في عام 1964م .. حاملاً إجازتها، بعد أن أمضى فيها مدة خمس سنوات، لأنه كان قد تخلف في السنة الرابعة الأخيرة، عن حضور الامتحان للدور الثاني، وكان خلال دراسته الجامعية في السعودية، مقيماً فيها، إلا أنه كان يعود إلى سورية في فصل الصيف، لرؤية أهله.

تزوج بعد تخرجه من الجامعة، وذلك في عام 1965م، وأنجب تسعة أولاد، سبعة من الذكور أكبرهم ضياء، وبه يكنى، وابنتان. أربعة من أولاده طلاب علم، واثنان منهم، يقولان الشعر.

وفي صبيحة يوم الأربعاء 1427/10/24هـ الموافق 2006/11/15م توفي الشاعر الكبير يوسف عبيد بعد مرض ألمَّ به[286].

[286] هذا الترجمة حصلت عليها من الشيخ ياسر المحيميد ابن الشيخ الشاعر يوسف عبيد. جزاه الله تعالى خيرا

امتاز شعر أستاذنا المرحوم أبي ضياء يوسف عبيد رحمه الله، بصفاء العبارة وانسجامها وتناسبها، وسطوع البيان وطلاوته، ودقة التعبير وقوته، وحلاوة الموسيقى وسطوتها، في ديباجة شعرية أصيلة تحمل توقيعه الخاص في أنفاسه وأسلوبه .. و ذلك في جميع ما كتب، حتى كأنك لا تراه بشكل ملحوظ يعلو و يهبط – بحسب تعبيرهم عندما يقولون : الشاعر كالطائر يعلو ويهبط – فقصائده كلها جياد ومتميزة بشكل عام.

إلى ذلك .. ومع احترافه ممارسة هذه الهواية الصادرة عن موهبة وطبع أصيل، ومع مكابدته في التزام الشعر الرسالي، وفن الشعر بشكل عام ، فلا تجد عنده قصائد متشابهات – كما هو الحال عند جماعة الاجترار المكثرين ممن استمرؤوا النظم – وإنما لكل قصيدة عنده إيقاعها ومناخها الخاص وألوانها وسماتها وملامحها.

كما أنه لم يكن متعصباً للقصيدة التقليدية وقد كتب العديد من القصائد الحرة "الموزونة" بالمستوى الذي كتب فيه رواد الشعر الحر .. وهو هنا موضوعي لم يربط بين الحداثة الشعرية والدعوات الخبيثة الهدامة .. كما لاحظنا ذلك الربط قاطعاً عند فريق آخر يشكل ظاهرة .. ولم تصدر آراء الشيخ وموقفه في ذلك، عن جهل أو قلة في الاطلاع .. بل كان أستاذنا يعلم أن أهل الغيرة على اللغة من الأدباء الحقيقيين والمواهب الشعرية الفذة، كانوا في موقع الريادة الأسبق في كتابة الشعر الحر.

لكن أحسن ما يمكن أن يقال في تجربته الشعرية الفذة وما يميزها؛ أنه من جهة لغة القصيدة ونحوها وسائر أدواتها، يعتبر امتدادا طبيعياً أصيلاً مثالياً للشعر العربي، دون انقطاع؛ لم تأخذه المؤثرات المعاصرة المستجدة سلباً بل أفاد منها وهضمها وطوعها في سياق تجربته الإبداعية.. فلم يفترق بذلك عن الرواد الكبار في العصر الحديث، من أمثال أمير الشعراء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم .. أولئك الذين كانوا قد جاؤوا امتدادا طبيعياً أصيلاً لسلسلة التجارب الشعرية العربية السابقة عبر العصور الأدبية .. دون انقطاع.

وأستطيع الزعم أن تجربة يوسف عبيد الشعرية الثرة الغنية المغنية، لو أتيح لها الظهور والنشر بالشكل اللائق ورفعت إلى مقامها الذي تستحق، لشكلت مثالاً شعرياً عربياً عاماً يحتذى ويدرس .. بكل جدارة[287].

لشاعرنا أشعار وقصائد كثيرة قد طبع قسم منها بديوان له تحت عنوان "ديوان عاشق الشمس" ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام 2003م، وقسم كبير من أشعاره حبيسة أشرطة الكاسيت التي سجلها رحمه الله تعالى بصوته، وفي أوراق ودفاتر موجودة عند أولاد الشيخ، أسأل الله تعالى أن يهيئ لها الظهور وأن ترى النور في يوم من الأيام.

من أشعاره التي قالها في منبج في قصيدة سماها البلبل الزائر:

الشِّعرُ أنتَ بيانُه وبديعه ... والفضل أنتَ رياضهُ وربيعهُ

والحبُّ أنتَ ظلالُهُ وعبيرُهُ ... والأنسُ أنتَ سِراجه وشموعهُ

والجدولُ الرقراق أنتَ نَمِيرُهُ ... قد فاض من بحر "الصَّفَا" يُنْبوعُهُ

شعرٌ كأنَّ السِّحرَ لامسَ نبضَه ... فصبا إليه سَميرُهُ وسميعهُ

يصغي إليه كأنَّه النَّغمُ الذي ... يحلو على أوتارِهِ ترجيعُهُ

تسمو إليه الرُّوح في أفق السنا ... متألقٌ عالي الضِّياء رفيعُهُ

يا "مصطفى" والعطرُ ما زَالتْ به الـ ... أنسامُ في "عين النَّخيلِ" تُشيعُهُ

والبيت هشَّ بها لأكرمِ زائرٍ ... خفقتْ بِنُبْلِ المكرُمات ضُلوعُهُ

---

[287] نقلت هذا عن الأستاذ عبد الجليل عليان نظرا لعدم توفر ديوان شاعرنا لذلك لم تتح الفرصة لي الإطلاع في أشعاره فجاءت كلمات الأستاذ عبد الجليل كافية وافية.

هي ساعةٌ لكنَّها دهرٌ صفتْ ... فيه الحياةُ فهل يُطلُّ رجوعُهُ

ورياضُ "مَنْبِجَ" كيف هزَّت عِطفَها ... طَرَباً وراقَ من الجمالِ بديعُهُ

لمَّا خطرتَ وضمَّكَ البلد الذي ... تهفو إليكَ نُجوعُهُ ورُبوعُهُ

عادتْ إليه الرُّوح تسري بعدما ... عصفَ الشِّتاء جليدهُ وصقيعهُ

يا مجلس السَّمَرِ الَّذي فُزْنا به ... والبِشْرُ يَبْسُمُ والسُّرور جميعهُ

واللَّيل داجِ الأفق إلاَّ أنَّه ... كالصُّبح يبهر ضوْءُه وسطوعهُ

في غرفة كالبحر متَّسعُ المدى ... والموج مُنقادُ العنانِ مُطيعهُ

كم أبحرتْ أرواحُنا في لُجِّهِ ... نشوى وَطابَ بسيطه وسريعهُ

في مركبٍ وغِناؤُكَ الشَّادي به ... مِجْدافُه وشِراعه وقلوعهُ

والفكرُ كالجنَّاتِ دانية الجنى ... أكرم بِزارِعِهِ ونِعْمَ زُرُوعهُ

فإذا قطوف الشِّعر مُلكُ يميننا ... والورد لا كَدِرٌ ولا ممنوعهُ

ليلٌ وما أحلى لياليَ مَنْبِجٍ ... لو لم يكن صوتُ الرَّحيل يَرُوعُهُ

أغنى بكنزِ الذّكريات نفوسنا ... ومضى كأطياف الضِّياء هَزيعهُ

ودنا الوداع فَحَزَّ في أعماقنا ... بعد اللقاء من الفراق صُدوعهُ

والنَّجم قد حجبَ الغمام وميضُه ... والغيثُ تهمي كالشَّجيِّ دُموعهُ

عُدْنا وفي أعماقنا زادٌ إلى ... فجر يُبَشِّر باللقاء طُلوعهُ

يا أيُّها الشَّادي المحلِّقُ زائراً ... من دوحِ جنَّاتِ "الشَّآم" نُزُوعهُ

ألقى جناحاً في خمائل "مَنْبجٍ" ... غَرِداً وطاب على الرُّبا تَسْجِيعُهُ

و"دمشقُ" نبعُ الشِّعر كم غنَّى بها ... "بَرَدَى" فصفَّق للصَّدى يُنبوعهُ

وَ"الْحَفَّةُ" الشَّماءُ ضمَّتْ مَهْدَهُ ... طفلاً يهشُّ فَطيمه ورَضيعهُ

وخطا صبياً لم يشاهد أمَّه ... تنمو على كرم الأصول فُروعهُ

واشتدَّ عوداً وهو ريَّان المنى ... سمحَ الشَّبابِ الألمعيِّ ودِيعهُ

وتألَّق الأمل المضيء بصدره ... ظمآن يكتم بعضَه ويُذيعهُ[288]

[288] يوسف عبيد، ***ديوان عاشق الشمس***، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م، القصيدة الثالثة عشرة من الديوان.

المطلب الثالث: محمد منلا غزيل

في عام 1936م[289] مع بداية إنهاء الاحتلال الفرنسي لسوريا ولد الداعية الحكيم الأستاذ الشاعر محمد غزيل في منبج، اسم أبيه منلا الدرويش ونسبه من أبيه يعود إلى قبيلة الدمالخة، أما من أمه فنسبه يعود إلى قبيلة النعيم، وكلا القبيلتين تعرف بانتسابها للإمام الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما، وكان يشير إلى أنه مولود مرتين من طرف الإمام الحسين، إشارة إلى نسبه من أبيه وأمه[290].

بدأ الدراسة في الكتاتيب في جامع الشيخ الولي عقيل المنبجي رحمه الله تعالى، وبدأ بحفظ القرآن الكريم وقصائد من الشعر العربي على يد الشيخ عبد الرحمن الداغستاني، ثم بدأ الدراسة الإبتدائية في مدرسة نموذج منبج عام 1950م، وبدأت منذ ذلك الحين تظهر قدراته الأدبية واللغوية حيث أنه في الصف الخامس الإبتدائي بدأ بكتابة الشعر، وكانت أولى قصائده بعنوان تحية دمشق عبر فيها عن حبه لمدينته منبج حيث قال فيها:

سلامٌ جُلّقَ مدفن آبائي ... ومنبع نهر البطولات والإباء

سلام من محب متيم في ... هوى ذات الهمة القعساء

هُو بعيد الدِّيار عَنكِ ولكِن ... مشوق كشوق قيس لليلاء

ولكونه من المتفوقين حق له الالتحاق بإعداديات حلب وحصل على شهادتها عام 1954م، في هذا الفترة أكبَّ على قراءة كتب المنفلوطي[291]، وأيضا بسبب تفوقه استطاع الدراسة في ثانويات حلب وتنقل بينها، حيث بدأ في ثانوية المأمون ثم المعري ثم سيف

---

[289] إبراهيم الديبو، ***علماء وأعلام تركوا بصماتهم في تاريخ منبج القديم والمعاصر***، دار طيبة، دمشق، ط 1، 2009م، ص 54.

[290] عبد الستار إبراهيم السعيدي، ***فارس القوافي محمد منلا غزيل***، دار الإصلاح، دمشق، ط 1، 2009م، ص 12.

[291] الديبو، ***علماء وأعلام تركوا بصماتهم في تاريخ منبج القديم والمعاصر***، ص 55.

الدولة ونهايةً في ثانوية إبراهيم هنانو، وأنهى الثانوية عام 1975م وما ترك نظم الشعر وقراءة الأدب طول فترة دراسته من الابتدائية حتى الثانوية وكان أساتذته في الثانوية يطلقون عليه لقب "البحتري الصغير"، أعجب بهذا اللقب وكان يكتبه في ذيل قصائده وأشعاره.

في الصف الثالث الإعدادي كتب دراسة نقدية لديوان الشاعر سليمان العيسى ونشرتها جريدة الشباب عام 1954م[292]. التحق بجامعة بدمشق وبدأ الدراسة في كلية الآداب قسم اللغة العربية عام 1958م، وتخرج فيها عام 1961م بتفوق وجدارة، ثم نال دبلوم التربية من أجل أهلية التعليم عام 1962م، ثم عمل كمعلم لمادة اللغة العربية حتى عام 1977م ثم تقاعد لأسباب صحية.

كان في المرحلة الجامعية قد كتب الشعر الكثير في الغزل والعاطفة ولكنه قد أحرقه وأتلفه حيث أن توجه فيما بعد قد تغير إلى الدعوة الإسلامية والتصوف والزهد في الحياة، فقد عزف عن الدنيا بعد أن كانت الأضواء متوجهة عليه، وكانت الصحف والمجلات تتلقف ما يكتب وتسرع في نشره وندواته وأمسياته الشعرية يتهافت إليها الشباب، ولكنه كما ذكرنا قد تغير مسلكه وفكره فقد فضل الباقي على الفاني ورجح حياة بسيطة تقتصر على أقل ضرورات الحياة على حياة السمعة والشهرة والأضواء.

لقد اتخذ الغزيل الإسلام منهجا وفكرا وروحا ورسالة ودعوة حيث أصبح رائدا من رواد الدعوة الإسلامية في منبج وما حولها.

أما عن إنتاجه الشعري فكان يتمثل بعدة دواوين كان نشرها في فترات مختلفة كان أولها ديوان "في ظلال الدعوة" صدر في حلب عام 1956م، ثم ديوانه "الصبح القريب" عام 1959م، ثم مجموعة "الله والطاغوت" عام 1962م، ثم اختار أشعارا وقصائد من

[292] السعيدي، ***فارس القوافي محمد منلا غزيل***، ص 12.

دواوينه الثلاثة السابقة وجمعه في ديوان مستقل عَنوَنَه بعنوان "اللؤلؤ المكنون" عام 1962م، ثم توقف عن الكتابة والنشر حتى عام 1974م لأسباب ونشر في هذا العام مجموعة "طاقة الريحان" وفي عام 1975م نشر مجموعة "البنيان المرصوص" ثم مجموعة "اللواؤ الأبيض" في عام 1978م هذا بالنسبة للشعر.

أما النثر فقد كان يكتب مقالات تنشر في المجلات آنذاك، فقام بجمع هذه المقالات ونشرها على شكل ثلاثة كتب الأول بعنوان "على طريق الوعي الحضاري العربي الإسلامي" والثاني بعنوان "في رحاب الأدب العربي" والثالث بعنوان "كلمات على طريق الوعي الحضاري" واستمر بالكتابة والتأليف والنظم حتى عام 1977م[293]. وفي عام 1978م جمع أشعاره ودواوينه ومجموعاته وجعلها في مجموعة واحدة بعنوان "الأعمال الشعرية الكاملة"[294].

لقد جمع الغزيل في شخصيته ثلاثة جوانب، الأول: جانب الأدب والشعر، الثاني: جانب الثقافة والفكر، والثالث: جانب الدعوة والنشاط الإجتماعي[295]. ولعل الجانب الأخير قد شغل الغزيل في آخر حياته.

لقد كان داعية بحق لايتوانى عن نصيحة، يحضر مجالس العزاء والفرح، يلقي فيها مواعظه التي لاتخلو من فوائد تربوية وأدبية، كان حكيما ينتقي كلماته ولايطيلها خوف السآمة والملل.

أذكر أنني حين كنت طفلا في الثامنة أو التاسعة من عمري أذهب مع والدي إلى مجالس العزاء في مدينة منبج التي كانت ميدانا للعلماء والأدباء والمفكرين، وإذ برجل بسيط

---

293 الديبو، ***علماء وأعلام تركوا بصماتهم في تاريخ منبج القديم والمعاصر***، ص 55.

294 السعيدي، ***فارس القوافي محمد منلا غزيل***، ص 16.

295 الديبو، ***علماء وأعلام تركوا بصماتهم في تاريخ منبج القديم والمعاصر***، ص 56.

الهيئة خفيف الظل دخل على عجالة وبيده كتاب، عم المجلس الهدوء، جلس في وسط بيت العزاء، أخذت نظراته الثاقبة تحدق بالحاضرين الذين شنفت آذانهم استعدادا لشيء سيحصل ليرى من هو موجودا بينهم. جيء بطاولة وكأس من الماء ووضعت أمامه شعرت بأن شيئا ما سيحصل وإذ بهذا الرجل قد وقف وبدأ الكلام معزيا لأهل العزاء، ثم شرع بذكر اسماء أولاد المتوفى وأقاربه، ذاكرا صفاته وخصاله الحميدة، داعيا أولاده بالتحلي بالصبر والسير على خطى والدهم، ثم بدأ بكلام ما كنت استوعبه آنذاك، ولكن هذا الرجل قد سلب عقلي وأثار دهشتي، أنهى كلامه وخرج من العزاء مسلِّما لا مودعا، لأنه سيعود في الغد. ألتفت إلى والدي وقلت من هذا؟ قال والدي: هذا الأستاذ محمد منلا غزيل! كان هذا أول لقاء وعقبه لقاءات وهدايا منه، لقد ترك أثرا بالغا فيَّ.

هذا هو رجل الأدب والدعوة الزاهد المتعبد محمد منلا غزيل الذي لم يتزوج ولكن ترك ابناء كثر خلفه يحملون مبادئه ومنهجه ودعوته، آملا أن أكون واحدا منهم.

توفي أستاذنا عام 2016م رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

من شعره تحت عنوان من أريج البردة:

مَزَّقَتْهَا ذِكْرَياتُ الأَمْسِ وادْثَرَتْ . . . طُفولَةُ القَلْبِ فِي دَوّامَةِ النَّدَمِ

كُرّاسَةُ الشِّعْرِ شِعْرُ الأَمْسِ مِنْ عزَّلي . . . بَيْنَ الرَّمادِ طَوتهَا جَذْوَةُ الضَرِمِ

بِالْأَمْسِ كَانَتْ أَغاريدي مَضْيَعَةً . . . فِي زينَةِ الحَرْفِ أَوْ فِي زُخْرِفِ الكَلِمِ

والْيَوْمَ أَحْلَى أَغاريدي وَأَعْذَبُها . . . مَا زَفَّهُ مُلْهَمُ الْإِيمَانِ والشَّمَمِ

يَا أَيُّهَا القَلْبُ فاسْتَمْسِكَ بِعُرْوَتِهِ . . . لَقَدْ حَظيَتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ[296]

[296] محمد منلا غزيل، ***الأعمال الشعرية الكاملة***، مكتبة المعرفة، منبج، 2007م، ج 1، ص 16.

وله أيضا في شوقه وحنينه لمنبج:

فَيْضُ الشُّعورِ يَجيَشُ فِي أَعْماقِ أَعْماقِ الفُؤادِ تَوَهُّجًا

وسُرْداقُ الظُّلُماتِ والديْجورِ يَا أُخْتَاه يَحْضنُ منْبِجًا

والْقَلْبُ يَا لَلْقَلْبِ مَازَالَ الشِغافُ بِجُرْحِهِ مُتَضَرِّجًا

واللَّيْلُ سَاجٍ وَالْذُبالَةُ مُؤْنِسِي بِوَميضِها رَمْزُ الْرَّجا

وَالرّاقِدونَ يَلُفُّهُمْ طُهْرُ الطُّفولَةِ والْبَراءَةِ وَالرُّؤَى مَا أَبْهَجَا

وَالشَّوْقُ يَذْكو عُنْفوانًا ثَائِرًا مُتَمَرِّدًا مُتَحَمِّسًا مُتَأَجِّجًا

أُخْتاه تَبًّا لِلنِّفَاقِ إِذَا تَبَدَّى أَوْ تَعَرَّى أَهوَجًا

أُخْتَاه بِئْسَ الِانْقيادُ الْمُسْتَكينُ يَلوحُ لِي مُتَبَرِّجًا

أُخْتَاه نِعْمَ الِانْعِتاقُ المُسْتَنيرُ لِأَنْفُسِ أَنْ تَعْرُجًا

أَنْ تَخْرِقَ الأَهْواءَ وَالنَّزْوَاتِ مَا اسْطَاعَتْ بِأَنْوارِ الحِجَا

فالْعيدُ عِيدُ المُؤْمِنِينَ الصَّابِرِينَ الثَّائِرِينَ عَلَى الدُّجَى

الْرائِدينَ بِقُوَّةٍ فَعّالَةٍ وَإِرادَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ الْمَنْهَجا[297]

[297] غزيل، ***الأعمال الشعرية الكاملة***، ج 1، ص 83.

الخاتمة

منبج مدينة قديمة قِدَم التاريخ نفسه. اختلفت أسمائها ونواحي أهميتها باختلاف العصور والدول التي مرت عليها. غابت عنها الحياة مدة ليست بقليلة من الزمن، وعادت إليها فيما بعد. مرت بأطوار عديدة، وكان لها باع في الحضارة والثقافة والشعر والأدب؛ حيث أنجبت واحتضنت عددا لا يستهان به من العلماء والشعراء والأدباء من مختلف العصور، وذكرها الشعراء في أشعارهم على مر الدهور. ونحن من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى نتائج عدة منها:

أما عن علاقتها بالشعر العربي فإن لمنبج صلة وثيقة بالشعر ويتجلى ذلك ويستنتج من خلال الكم الكبير من الأشعار التي ذكرتها ووردت فيها. ويستنتج أيضا من البحث أن استخدام الشعراء لمنبج في أشعارهم، وذكرهم لها كان في بعض الأحيان أمرا أساسيا ورئيسا حيث كان سبب نسج تلك الأشعار والباعث لنظمها هو منبج، وقد ورد في البحث أمثلة على ذلك، ولكن كان أيضا ذكر منبج في بعض الأشعار أمرا ثانويا فلم تكن هي المقصودة بالذات، وإنما ذكرت في أشعارهم لمناسبة أو لتكون شاهدة على ما أرادوا. ومن ناحية أخرى فإنه يستنتج من البحث أيضا أن استخدام الشعراء لمنبج في أشعارهم كان في أغراض وموضوعات مختلفة، فلم يكن ذكرهم لها خاصا في موضوع معين ومحدد كالوصف فقط أو الفخر، بل كان ذكرهم لها في أغلب موضوعات الشعر المعروفة، على أن غرض الشوق والحنين كان له النصيب الأكبر في استخدامهم لها، وهذا حال الشعراء مع المدن، حيث كانوا يكثرون من شوقهم وحنينهم لمدنهم وبلداتهم لما لهم فيها من ذكريات وروابط. وأيضا يستنتج من البحث أن الشعر الذي ذكرت فيه منبج كان في عصور مختلفة ومتفرقة؛ فلم يكن خاصا بالعصر الأموي أو العباسي فقط، فالمتتبع يرى بوضوح بأن ورود منبج في الشعر العربي لم يخل منه عصر من العصور. ومما وصلنا إليه من نتائج أن الشعراء الذين ولدوا فيها أو عاشوا طفولتهم في ربوعها كان لهم الحصة الكبرى من ذكرها في أشعارهم ولاسيما البحتري حيث أكثر من ذكره لها في أشعاره وأنه قد استخدمها في أغراض

مختلفة فتارة يذكرها واصفا وتارة أخرى مشتاقا وتارة ذكرها في معرض مدحه لممدوحيه أو أثناء افتخاره بقومه وأجداده.

ومن الأمور التي تستنتج من هذا البحث أيضا أن هناك شعراء منبجيون لايستهان بعددهم ورصيدهم في الشعر العربي؛ وهذا ليس محض مصادفة، وإنما هو دليل على أن منبج كانت ولَّادة للشعراء صاقلة قرائحهم بما تمتاز به من صفاء وطيب هواء، غير أن الشعراء المنبجيين القدماء كان منهم المشهورون ومنهم المغمورون، ولعل دمارها الذي طال كان سببا في غمرهم وعدم اشتهارهم، ومع هذا فإنه يرى من البحث أيضا أن الحياة الأدبية والشعرية قد عادت لمنبج بعودة الحياة إليها، وهذا يظهر واضحا من خلال الشعراء الذين ذكرناهم في العصر الحديث، وما هم إلا أمثلة وغيرهم كثير من الذين مازالوا على قيد الحياة. ولهذا ولكل ما سبق من نتائج حُقَّ أن يقال لمنبج بأنها مدينة الشعر وأمّ الشعراء.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن أعثم، أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: 314هـ)، ***كتاب الفتوح***، تح: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط 1، 1991م.
3. ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، ***ديوان ابن الأبّار***، تح: عبد السلام الهرّاس، مطبعة فضالة، المغرب، 1999م.
4. ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، ***تحفة القادم***، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986م.
5. ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد ابن الأبّار القضاعي البلنسي (ت: 658هـ)، ***الحلة السيراء***، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985م.
6. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت: 630هـ)، ***الكامل في التاريخ***، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1997م.
7. ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت: 637هـ)، ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر***، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420هـ.
8. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ)، ***المنتظم في تاريخ الأمم والملوك***، تح: محمد عبد القادر عطا-مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992م.
9. ابن الصابوني، محمد بن علي بن محمود أبو حامد (ت: 680هـ)، ***تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب***، دار الكتب العلمية، بيروت.

10. ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (ت: 660هـ)، ***بغية الطلب في تاريخ حلب***، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.
11. ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت: 723هـ)، ***مجمع الآداب في معجم الألقاب***، تح: محمد الكاظم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط 1، 1416هـ.
12. ابن اللمش، الطبيب أبي حفص عمر بن الخضر (ت: 640؟هـ)، ***تاريخ دنيسر***، تح: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، ط 2، 1992م.
13. ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت: 749هـ)، ***تاريخ ابن الوردي***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1996م.
14. ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، أبو الحسين (ت: 614هـ)، ***رحلة ابن جبير***، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
15. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، ***المنصف لابن جني***، دار إحياء التراث القديم، ط 1، 1954م.
16. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ (ت: 354هـ)، ***الثقات***، دائرة المعارف العثمانية، الهند، حيدر آباد، ط 1، 1973م.
17. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: 82هـ)، ***لسان الميزان***، تح: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 2002م.
18. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت: 681هـ)، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.
19. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321هـ)، ***جمهرة اللغة***، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1987م.

20. ابن سناء الملك، أبو القاسم هبة الله بن جعفر (ت: 608هـ)، ***ديوان ابن سناء الملك***، تح: محمد إبراهيم نصر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1969م.

21. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، ***المخصص***، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1996م.

22. ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب (ت: 328هـ)، ***العقد الفريد***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1404هـ.

23. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: 571هـ)، ***تاريخ دمشق***، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، 1995م.

24. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (ت: 395هـ)، ***معجم مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

25. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (711هـ)، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.

26. ابن هرمة، إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر (ت: 176هـ)، ***ديوان إبراهيم بن هرمة***، تح: محمد جبار المعيبد، مطبعة الآداب، العراق، النجف، 1969م.

27. ابن هرمة، إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر (ت: 176هـ)، ***شعر إبراهيم بن هرمة***، تح: محمد نفّاع–حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1969م.

28. ابن واصل، أبو عبد الله محمَّد بن سالم (ت: 697هـ)، ***مفرج الكروب في أخبار بني أيوب***، تح: مجموعة من المحققين، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.

29. الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج (ت: 356هـ)، ***الديارات***، تح: جليل العطية، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط 1، 1991م.

30. أبو ريشة، عمر أبو ريشة، ***ديوان عمر أبو ريشة***، دار العودة، بيروت، 1998م.

31. أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت: 665هـ)، ***الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية***، مطبعة وادي النيل، مصر، القاهرة، 1287هـ.

32. الحمداني، الحارث بن سعيد، أبو فراس (ت:357هـ)، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1994م.

33. الحمداني، الحارث بن سعيد، أبو فراس (ت:357هـ)، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط 1، 2000م.

34. الحمداني، الحارث بن سعيد، أبو فراس (ت:357هـ)، ***ديوان أبي فراس الحمداني***، تح: خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1994م.

35. الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت (ت: 92هـ)، ***شعر الأخطل***، تح: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط 4، 1996م.

36. الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت (ت: 92هـ)، ***ديوان الأخطل***، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1994م.

37. الأرجاني، ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين (ت: 544هـ)، ***ديوان الأرجاني***، تح: محمد قاسم مصطفى، دار الرشيد للنشر، العراق، 1979م.

38. الأسود، ملحم إبراهيم، ***بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام***، مطابع قوزما، بيروت، 1928م

39. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (ت: 216هـ)، ***الأصمعيات***، تح: أحمد محمد شاكر ـ عبد السلام محمد هارون، بيروت، ط 5.

40. الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن صفي، عماد الدين (ت: 597هـ)، ***خريدة القصر وجريدة العصر***، تح: شكري فيصل، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1959م.

41. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت: 370هـ)، ***الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري***، تح: أحمد صقر، دار المعارف، ط 4.

42. الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ)، ***معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع***، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1403هـ.

43. الباخرزي، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب (ت: 467هـ)، ***دمية القصر وعصرة أهل العصر***، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1414هـ.

44. البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى التنوخي الطائي (280هـ)، ***ديوان البحتري***، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964م.

45. البرقوقي، عبد الرحمن (ت: 1944م)، ***شرح ديوان المتنبي***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2014م.

46. البكار، حسين علي، ***منبج سيرة ومسيرة***، دار الثريا للنشر، حلب، ط 1، 1999م.

47. البلفيقي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (ت: 616هـ)، ***المقتضب من كتاب تحفة القادم***، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة – دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 3، 1989م.

48. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور (ت: 429هـ)، ***يتيمة الدهر***، تح: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983م.

49. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: 429هـ)، ***أحسن ما سمعت***، تح: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2000م.

50. الجارم، علي، ***فارس بني حمدان***، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

51. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت: 471هـ)، ***أسرار البلاغة***، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

52. الجندي، أنور، ***الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه***، مكتبة المعارف، القاهرة.

53. الجَندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: 732هـ)، ***السلوك في طبقات العلماء والملوك***، تح: محمد الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط 2، 1995م.

54. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ)، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1987م.

55. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ)، ***معجم الأدباء – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب***، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1993م.

56. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت: 626هـ)، ***معجم البلدان***، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995م.

57. الحِميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 900هـ)، ***الروض المعطار في خبر الأقطار***، تح: إحسان عباس، مطابع دار السراج، بيروت، ط 2، 1980م.

58. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت: 463هـ)، ***تاريخ بغداد***، دار الكتب العلمية، بيروت، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، 1417هـ.

59. دهمان، أحمد علي، ***عبيد الله بن الحر الجُعفي بين أناشيد البطولة وآلام الندم***، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

60. الديبو، إبراهيم، ***علماء وأعلام تركوا بصماتهم في تاريخ منبج القديم والمعاصر***، دار طيبة، دمشق، ط 1، 2009م.

61. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ)، ***تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام***، تح: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1993م.

62. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ)، ***سير أعلام النبلاء***، تح: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1985م.

63. الزبيدي، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج ، أبو بكر (ت: 379هـ)، ***طبقات النحويين واللغويين***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2.

64. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، مرتضى (ت: 1205هـ)، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

65. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت: 1396هـ)، ***الأعلام***، دار العلم للملايين، ط 15، 2002م.

66. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ)، ***أساس البلاغة***، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م.

67. السعيدي، عبد الستار إبراهيم، ***فارس القوافي محمد منلا غزيل***، دار الإصلاح، دمشق، ط 1، 2009م.

68. شاكر، محمود محمد، ***جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر***، جمع: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 2003م.

69. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ)، ***أعيان العصر وأعوان النصر***، تح: علي أبو زيد ومجموعة من المحققين، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1998م.

70. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ)، ***الوافي بالوفيات***، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

71. ضيف، شوقي، ***تاريخ الأدب العربي***، دار المعارف، مصر، ط 1.

72. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت: 310هـ)، ***تاريخ الرسل والملوك/ تاريخ الطبري***، دار التراث، بيروت، ط 2، 1387هـ.

73. عباس، إحسان، ***شذرات من كتب مفقودة في التاريخ***، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1988م.

74. عبيد، يوسف، ***ديوان عاشق الشمس***، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

75. العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل (ت: 382هـ)، ***المصون في الأدب***، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة حكومة الكويت، ط 2، 1984م.

76. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ)، ***ديوان المعاني***، دار الجيل، بيروت.

77. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ)، ***التلخيص في معرفة أسماء الأشياء***، تح: عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط 2، 1996م.

78. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت: 749هـ)، ***مسالك الأبصار في ممالك الأمصار***، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط 1، 1423هـ.

79. الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت: 1351هـ)، ***نهر الذهب في تاريخ حلب***، دار القلم، حلب، ط 2، 1415هـ.

80. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت: 1061هـ)، ***الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة***، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997هـ.

81. غزيل، محمد منلا، ***الأعمال الشعرية الكاملة***، مكتبة المعرفة، منبج، 2007م.

82. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت: 170هـ)، ***كتاب العين***، تح: مهدي المخزومي- إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

83. الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، ***القاموس المحيط***، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 8، 2005م.

84. الفيومي، محمد إبراهيم (ت: 1427هـ)، ***تاريخ الفكر الديني الجاهلي***، دار الفكر العربي، ط 4، 1994م.

85. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت: 356هـ)، ***أمالي القالي***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م.

86. القضاعي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت: 742هـ)، ***تهذيب الكمال في أسماء الرجال***، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1400هـ.

87. القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: 739هـ)، ***مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع***، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412هـ.

88. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (ت: 646هـ)، ***إنباه الرواة على أنباه النحاة***، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1982م.

89. الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري (ت: 453هـ)، ***زهر الآداب وثمر الألباب***، دار الجيل، بيروت.

90. القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (ت: 463هـ)، ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه***، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1981م.

91. الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر (ت: 764هـ)، ***فوات الوفيات***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1.

92. كحالة، عمر رضا، ***معجم المؤلفين***، مكتبة المثنى، بيروت.

93. الكيالي، سامي، ***الأدب العربي المعاصر في سورية***، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 2، 1968م.

94. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد (ت: 354هـ)، ***ديوان المتنبي***، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1983م، ص 49.

95. المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت: 384هـ)، ***الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء***، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995م.

96. المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى (ت: نحو 168هـ)، ***المفضليات***، تح: أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1979م.

97. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين (ت: 845هـ)، ***المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418هـ.

98. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تقي الدين (ت: 845هـ)، ***المقفى الكبير***، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 2، 2006م.

99. الموصلي، كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشعار (ت: 654هـ)، ***قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان***، تح: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2005م.

100. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة (ت: 1425هـ)، ***البلاغة العربية***، دار القلم، دمشق، ط 1، 1996م.

101. نشاوي، نسيب، ***مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر***، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.

102. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، شهاب الدين (ت: 733هـ)، ***نهاية الأرب في فنون الأدب***، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط 1، 1423هـ.

103. الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370هـ)، ***تهذيب اللغة***، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001م.